
عنبر ٣٣
سيد السواح
رواية
ساحر الكتب



عنبر 33


ساحر الكتب



"عنبر 33"
رواية

سيد السواح

غلاف /
الطبعة الأولى 2017

الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع

30 ش حسن عاصم
من ش البرازيل – الزمالك
eldarelmasria@gmail.com
01000612260
مدير عام / محمد صبحي

رقم الإيداع //

الترقيم الدولي //





عنبر 33

رواية

سيد السواح







إهداء

إلى أمي ..

كلمات اللغة لم تسـعفني كي أكتب لك ما تسـتحقين ، لذلك اكتفيت بإهداء هذا العمل إليك دون أن أصـفك بشـيء ، فقط لك أنت، بدون أي وصف لأنني مهما تعمقت لن أستطيع أن أصفك ، بل أي وصف مهما كان عظيما سوف يَحُطُّ من شأنك ....

أبي..

رحمك الله وجعلك من سـكان الفردوس الأعلي، مازال الله يرزقنا ويمن علينا من فضـلـه جزاء لعملك الطيب ومازالت ذكراك عطرة، وكأنك تحيا بيننا، اسأل الله ان يطيب ثراك ويجمعنا بك تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ...

إخوتي..

كنتم معولي الذي شـققت به دروب الحياة دون عناء وسـراجا اضـاء لي الدنيا وحماني من صـروف الليالي ومتاعب الدنيا، أحمد الله واشـكره كل يوم لأنكم أخوتي ...



إلى كل مَنْ أرهقته الحياة .... مرحبا بك في عنبـر33 .

سيـد الســواح



على أجراس منبهه المزعج استيقظ دكتور عمرو ابن الثانية والثلاثين من العمر كعادته متجها نحو المطبخ لإحضـــار فنجان القهوة المعهود كل صـباح ، تجول في شـقته بالمعادي التي يعيش فيها بمفرده بمعزل عن الأسرة، يفضل دائما العيش وحيدا رافضا الكثير من عادات وتقاليد هذا المجتمع الممل ــ من وجهة نظره . عاد إلى غرفته ليبحث عن شـيء يرتديه، كعادته اليومية محتاراً فيما سيرتدي اليوم، عاد مرة أخري إلى المطبخ ليطمئن علي فنجانه إن كان قد أصـبح جاهزا أم لا. انتظر النيران الهادئة مستمتعا برائحة البن التي أغرقت المكان ، صبَّ قهوتـه وحمل فنجـانـه واتجـه نحو غرفة نومـه ليســـتقر أخيراً علي ما سيرتديه ، تأنق كالعادة وأمسك بفنجانه وحقيبته وخرج من باب الشقة متجها نحو ســـيارته ، جلس علي عجلة القيادة يحتســـي القهوة بعدما أشعل سيجارته..

اتجه صـوب عمله محدثا نفسه متى سأعتزل هذه المهنة التي كـادت تقضـــي علي عمري وربمـا ينتهي بي الأمر إلى أحـد عنـابر المسـتشـفى أصـرخ وأصـيح بسـبب أو بدون . كان يتأمل طريقه إلى المســتشـفى متعمقا في مذاق القهوة المعشـوقة كل صـباح ، نزل أمام المستشفى تاركا فنجانه الفارغ بجوار مقعد السيارة حمل حقيبته ودخل



إلى المســـتشـــفى الكئيب ، يوزع نظراته على جانبيٌّ الممر الطويل المحاط بحديقة يقسمها الممر نصفين، الخضرة والأشجار المنتشرة علي الجانبين لم يجعلوا عَمْرًا يغير موقفة من كآبة هذا المســـتشـــفى، اقترب من المبنى الشـــاهق ودخل إلى مكتبه ليبدأ عمله المعتاد كل يوم ..

بعد يوم طويل من العمل والإرهاق العصبي والذهني انصرف الأطباء والعاملون .. ولكن عَمْرًا اعتاد شيئاَ آخر عكس زملائه، فكان يوميا يطلب من أحد عمال المستشفى إحضار فنجان من القهوة بعد انتهاء العمل ليحمله ويدخل إلى مكانه المفضل في المستشفى ..

اتجه نحو عنبر33 حاملا فنجانه ، فتح باب العنبر مخاطباً نفسه :" لا أعلم سر حبي لهذا المكان فأنا لا أطيق هذا المبنى ولا هذا العمل ولكني أشـــعر بالراحة هنا ، لأفعل ما يريحني وانتظر ماذا يخبئ لي القدر هنا ، فربما أحصل هنا على الصديق الوفي أو تأتي فتاة أحلامي يوماً ما" ..

دخل العنبر الخالي من النزلاء ، جلس علي الســرير المفضــل لديه أسفل النافذة خلع حذاءه واسترخى ، وضع فنجانه علي الطاولة المجاورة وفتح النافذة ثم أشعل سيجارته المفضلة ، تبادل رشفات القهوة مع أنفاس السيجارة .. يحدّث سيجارته بصوت نابع من أعماق عقله :" لا أعلم متى ســتقضـــين على حياتي، أم ســأكون أكون أنا المنتصر، لا بد أن المعركة بيننا ستستمر طويلا يا صديقتي ولا بد من فائز في النهاية وأنا قبلت التحدي "

قطع حديثه مع سيجارته ضوضاء وصراخ في الطرقة أمام باب العنبر،يبدو هناك مشاجرة مشتعلة في الخارج ، اتجه عمرو نحو باب



العنبر ليرى ما يحدث ، هناك عراك بين شخص غريب وبعض عمال المستشفى !!..

صرخ بصوت عالٍ غطى على كل الضوضاء المتناثرة داخل الطرقة : ماذا يحدث هنا ؟!

أجاب أحد العاملين :هذا المجنون تسلل إلى المستشفى ويريد الدخول إلى عنبر33

نظر عمرو إلى الشخص المتسلل؛ شاب في أواخر العشرينيات ،نظر إليه بهدوء ، بادله الزائر نفس النظرات ، أصبح المكان هادئاً ..

بصوت منخفض أمر عمرو جميع الموجودين بالانصراف... اقترب من الزائر ووضع يده علي كتفه وهمس إليه :" ماذا جاء بك إلى هنا ؟!!!" بصوت متوتر وأعصاب مشدودة: "أنا أحد نزلاء هذا العنبر" ..

بابتسامة خفيفة قاطعه عمرو:" أنت لست أحد نزلاء هذا العنبر ولا المستشفى أنت لست مجنوناً !"

- -كلا ، أنا أحق شخص بأن يكون له مكانٌ هنا ..

ضرب عمرو كتف الزائر بحركة حميمية وكأنه صديقه المقرب :"تعال معي"

- اصطحبه عمرو ودخلا إلى العنبر الخالي ثم نظر إليه مبتسما : " مرحبا بك في عنبر33"...

جلسا متقابلين علي أحد الأسرّة..

عمرو : من أنت ولماذا تسللت إلى هنا ؟!!



اسمي سعيد ، تسعة وعشرون عاماً أعاني من أزمة نفسية ولا أريد أن أعيش في هذا العالم المريب ، المجد للأغبياء والتافهين في العالم البائس السخيف ، الرفعة والعظمة للكاذبين والمنافقين ، أمثالي من الحمقى لا يستحقون العيش في هذا العالم ، لذلك قررت المجيء إلى هنا لأعيش في المكان المناسب لي..

-ولكن هذا المكان لم يُبْنَ من أجل أمثالك يا صديقي أنت شخص طبيعي وتتمتع بكامل قواك العقلية .....

قاطعه سعيد :"لماذا سمحت لي بالدخول إلى هنا ؟!!"

لأني أعلم أنك لست مريضاً وأعلم أنك لا تعاني من أية مشاكل نفسانية ،مد يده إلي الطاولة وأمسك بعلبة سجائره ، ثم أعاد النظر إلى سعيد :"تفضل يا صديقي دخانك المفضل ، هذه هي السجائر المفضلة لأمثالنا"..

مد سعيد يده وأخذ السيجارة باستغراب شديد: " كيف علمت أنني أدخن ؟"

قلت لك إنها السيجارة المفضلة لأمثالنا..

عمرو : لطالما كان عنبر 33 المكان المفضل لي ، دائماً كنت أبحث عن الشخص الذي يستحق أن يشاركني الجلوس هنا ، انتظرتك طويلا يا صديقي ..

أشعل سعيد السيجارة ووقف يتأمل العنبر في صمت وهو ينفث دخانه واسترخى عمرو على سريره دون أن يقطع حبل أفكار الزائر..



ســـعيد ابن التســـعة والعشـــرين ربيعا بدأ يتجول داخل العنبر موزعاً نظراته في كل مكان يسأل نفسه، لماذا جئت إلى هنا ؟! ، لماذا اخترت الرقم 33 لأبحث عن عنبر يحمل هذا الرقم؟!!

التفت إلي عمرو الذي يتابعه وينتظر حديثه بشغف : لقد جلسنا وأشعلنا سجائرنا ولا أعرف من أنت ولا حتى اسمك ؟!! ..

ابتســم عمرو .. أنا عمرو، اثنان وثلاثون عاماً طبيب نفســاني وأعمل هنا..

- ولماذا تجلس هنا ألم ينته وقت عملك ؟!!

- الإجابة أســتطيع أن أخبرك بها إذا اســتطعت أن تخبرني أنت لماذا تسلقت أسوار المستشفى وطلبت الدخول إلى هذا العنبر بالتحديد؟!!

تبادل الرفيقان نظرات التعجب التي قطعها ســـعيد : أنا لا أعلم لماذا جئت إلى هنا ،وما دفعني إلى فعل ذلك..

- -أنا أيضـــا أكره هذا المســـتشـــفى ولا أحب هذا العمل وندمت كثيراً على تخصصي في هذا المجال ولكني اعتدت الجلوس هنا بشكل يومي وطلبت من إدارة المستشفى أن يكون مكتبي بجوار هذا العنبر ، لا أعرف لماذا ، ســـببا ما دفعني إلي ذلك ، لكن ما هذا الســـبب ؟! صدقني أنا مثلك تماما لا أعرف ..!!

توقف ســعيد مرة أخرى عن الحديث واتجه نحو نافذة في نهاية العنبر وفتحها ووقف يتأمل المنظر بالخارج ، ينفث دخانه منها وهو يتأمل ما مر من حياتـه منذ الطفولـة إلى أن تزوج وأنجب طفلاً يبلغ من العمر أربعة أعوام..



ما زال عمرو يتابع جليسه الذي شرد في تفكير عميق..

الشاب قصير القامة رشيق الجسم خفيف الشعر وضع يده في جيبه واستغرق في شروده..

تحرك عمرو من مكانه وذهب ليقف إلى جواره وأخذ يفعل مثله علّه يصل إلى نقطة التقاء تجمعهما ، أخذ عمرو يتأمل المنظر من النافذة : "الحديقة جميلة ، أليس كذلك يا صديقي ؟!"

- لا أظنك مستمتعاً بالنظر إليها ..

-صدقني إن قلت لك إنني لم أستمتع بهذا المنظر من قبل ولكن بعدما وقفت بجوارك وفعلت مثلما تفعل شعرت أن المنظر مختلف وكأنني أراها لأول مرة .!!

نظر إليه سعيد مبتسما : هل اعتدت أن تكون مجاملا، أم إنك تحاول أن تتعامل معي كمريض نفساني لتعرف ما بداخلي ؟؟

- صدقني أنت لست مريضاً وأنا لا أتعامل معك من هذا المنطلق أبدا وأيضا لست مجاملا ، لكن يمكنك أن تعتبرني أتجاذب معك أطراف الحديث .

نظر سعيد إليه : لا تستعجل فتح المواضيع ، فمنذ قليل قلت إنك كنت تنتظر من يرافقك الجلوس هنا ، وقد حضر الرفيق وبالتالي سيكون دوماً هناك ما نتحدث بشأنه ، لكني أردت الوقوف قليلا لأتأمل المكان وأحسّ بوجودي فيه ..

نظر سعيد إلى عمرو نظرة طويلة : أشعر أن هناك شيئاً ما بداخلك تريد أن تفصح عنه ..



عمرو: هل تريد أن تتقمص شخصية الطبيب النفساني؟!!

-صـدقني ، لا أقصـد اسـتدراجك إلى الحديث عن شـيء معين ولكن وجهك وعيناك يخبئان الكثير من الألم ، أرى وراء تلك النظارة الكثير من الذكريات، أليس كذلك ؟!..

بادله عمرو نفس النظرات صامتا وهو يفكر ما إذا كان هذا الرجل جاء إلي هنا بمحض الصـدفة أم أنه جاء متعمداً ، هل ما يقوله يشـعر به فعلاً؟! ، أم أنه يحاول تصنع الذكاء والفراسة ؟!!

قاطع سعيد شروده : عمرو ، اسمح لي أن أناديك باسمك بدون لقب ،لا أريدك أن تشـرد كثيراً ، وسـأريحك مما يدور برأسـك ، هل تمانع أن تجرب معي لعبة شيقة ؟!

- أخبرني ما هي وما قوانينها وبعدها سأقرر..

- اللعبة بسـيطة يا صـديقي ، أنا لم أعرفها من قبل ولم أكن أعلم بها ولكن الفكرة طرأت علي ذهني حالاً ، يمكنك أن تعتبرها وليدة اللحظة ،باختصـار شديد أنت ستقوم بدورك كطبيب نفساني وأنا سأكون الحالة وستسألني وأجيبك ، وأنا أيضاً سأقوم بنفس الدور وتكون أنت الحالة وتجيبني علي أسئلتي وتخبرني بكل تفاصيل حياتك ..

هذه اللعبة سـيكون لها شـرط وحيد ، وهو أن يسـمح كل منا للآخر بالدخول إلى قلبه واقتحام الجانب المظلم فيه ، ما رأيك في لعبتنا؟؟

سكت عمرو متأملاً كلام سعيد : صديقي ، أنا أعرفك منذ دقائق كيف أفتح لك قلبي وأسـمح لك أن تخترق الجانب المظلم به ، أنا لسـت معترضا علي فكرتك ولكني أرى أن وقتها ليس الآن ..



- حسناً يا صديقي ، لنعتبر أننا لن نلتقي مرة أخري وأن لقاءنا اليوم هو الأول والأخير ، إذا افترضنا ذلك فسيخرج كلٌ منا ما في قلبه ويزيح عن قلبه بعض الهموم مع شخص سمعه ثم اختفى، ولتطمئن أكثر سأبدأ أنا لعب دور الحالة وستكون أنت الطبيب ..

أعجب عمرو بالفكرة : حسناً فلنبدأ ..

استرخى سعيد على السرير وبدأ عمرو يحضر أسئلته إلي الضيف الذي ما زال مجهولاً بالنسبة إليه ..

جلس عمرو علي السرير المجاور موجها سؤاله إلي سعيد :أخبرني عن طفولتك ؟

صمت سعيد لبرهة ثم نظر إلى سقف العنبر ليستعيد ذكريات الطفولة ليتذكر أصعب يوم مر في حياته ، ثم بدأ يسرد إلى عمرو بعض تفاصيل طفولته ..

- أنا من أسرة صغيرة متوسطة الحال مكونة من أب وأم وثلاثة أبناء أنا رابعهم ، أغمض سعيد عينيه وعاد إلى عامه الثامن حين فقد الحنان وشعور الأمان مع رحيل الأب ...

في ذلك اليوم تأخر عن المدرسة ولحق بزملائه قبل أن تبدأ الحصة الأولي بقليل ، جلس وسط زملائه يبكي ولا أحد يعرف السبب ، انقضت الثلاث حصص الأولى وما زال غارقا في بكائه ولم يستطع أحد انتزاع أية إجابة منه عن سبب بكائه لا من زملائه ولا من معلميه ، قرعت أجراس المدرسة لتبدأ الاستراحة الأولى لربع ساعة ، انطلق نحو المنزل القريب من المدرسة الواقعة في إحدى أحياء القاهرة الشعبية ، وصل إلى البيت ليجد الأقارب قد حضروا والجيران ازدادت



أعدادهم داخل المنزل الصـــغير ، أختـه الكبيرة تنـاديه لماذا أتيت إلى المنزل الآن ، فهي لم تعتد على تواجده في المنزل في فترة الاسـتراحة الأولي ، ارتمى الصغير في أحضانها باكيا ، أين أبي ؟!!

- لم يأت بعد اذهب إلى المدرسة الآن ، فسوف يحضر بعد قليل لا تقلق ..

امتثـل إلى الأمر علي الفور وأدار ظهره للمنزل واتجـه مرة أخرى صـوب المدرسـة الصـغيرة باكيا ، يشعر أن الأمور ليست علي ما يرام ، يبكي دون توقف وهناك شعور يجوب صدره ولا يقدر على تصديقه ...

أخيرا انتهى اليوم الدراسـي ، حمل حقيبته وعاد مسـرعا إلي المنزل ، مـا زال المشـــهد كما هو، الأقارب والجيران أعدادهم تزداد والأب لم يأتِ بعد ، سـعيد ابن الثامنة يشـعر أن الحياة قد تنتهي بعد قليل ، فأبوه ليس بالمنزل وهو الذي كان نائما بجواره منذ ســاعات هل من الممكن أن يكون اليوم هو يوم الوداع ؟!!

أختـه تنـاديـه هيا فالغداء في انتظارك ، اتجه نحوها وســـط الزحام في المنزل ونظرات الشـــفقة التي تملأ عيون الحاضـــرين إليه ، ما زال صغيرا ولكنه لا يقبل تلك النظرات ولا يحب أن يراها تتوجه إليه ، في طريقه إلي أخته هناك حديث يجوب صدر الصغير هو يفهمه جيدا :"ما هذه الأخت كيف تتمالك نفسها إلى هذه الدرجة إنها أصلب من الحديد " ، جلس علي طعامه محاولا إرضـائها ولكنه لا يسـتطيع بلع الطعام ولا يحس له طعماً ..

قطع طعامه وحديثه مع نفسه صراخ النساء وعويلهن أمام المنزل الذي ارتفع وجاب أنحاء المنزل والشـــارع بالكامل ، انطلق مســـرعا نحو



الشـارع يصـرخ صـرخات لا يفهمها ولا يسـمع بها أحد إلا الله : مات أبي مـات أبي ، وقف مســـتندا علي جدار منزل الجيران المقابل ينظر إلى أبيه يُحمل من سيارة الإسـعاف ويُدخل به إلى المنزل ، سـقط على الأرض باكيا غير قادر حتى علي الصراخ سقطة استسلام لم يرها أحد ، ولم يشـعر بها أحد، استسلم الصـغير ، مالت رأسـه وانحنى ظهره لا يسـنده الجدار ولا تحمله الارض ، أظلمت الدنيا فجأة وماتت الحياة في عيونه لن يجدي البكاء نفعا ولن يغير شـيئاً من الواقع ، رفع عينيه إلي السماء مستسلما سائلا: " مات أبي ؟!! ألن أراه مرة أخرى؟!!

امتلأت عيناه بالدموع ، يحاول أن يتمالك نفسـه فدموع الرجال عزيزة ولكن هذا اليوم لا ينســـاه وكـأنـه كـان الأمس ،قـاطع عمرو بكـاءه : "فلندعوا له بالرحمة وأن يكون من سـكان الجنان" ، جلس سـعيد على ســريره محاولا ان يتمالك دموعه التي هربت من بين جفونه غصـــبا عنه، تركه عمرو قليلا لعل البكاء يزيح بعضا من الألم ..

أشعل سعيد سيجارة أخرى ونفث دخانها بقوة محاولا أن يتناسى ما حل به من ألم الذكرى ، ونظر إلى عمرو الذي يبدو أن اللعبة أعجبته كثيرا ..

عمرو :أريد أن أضيف قانونا جديدا إلى لعبتنا ..

سعيد : ما هو ؟!

- لا أخفي عليك ســـرا لقد أعجبتني تلك اللعبة وأريد أخذ دوري فيها سريعا ،أود أن نتبادل الأدوار بعد كل سؤال ..

- حسنا ليس لدي مانع ..

- ليكن دوري إذا ..



استرخى عمرو وانتظر سؤال الصديق بشغف ..

وقف سعيد أمام النافذة ليعيد النظر إلى

الحديقة المقابلة ، يبحث عن سؤال يكشف له غموض رفيقه في العنبر الخالي ، أدار سعيد وجهه تجاه عمرو المسترخي مترقبا سؤاله ..

- أخبرني عن أكثر حادث أثر في شخصيتك وجعلك تشعر أنك لم تعد عَمْرًا الذي تعرفه ؟

سكت عمرو قليلا بعدما اقترب سعيد وجلس على السرير المجاور نظر إليه عمرو قائلا :" وفاة أختي "

توجهت نظرات عمرو إلي سقف العنبر وتساقطت قطرات الدموع من عينيه الشاردتين في ذكريات يحن إليها كثيرا ، أغمض عينيه محاولا أن يعود إلى الوراء قليلا ..

الشاب المقبل علي العشرينيات بعدما تحقق حلمه وحلم أخته الكبيرة وأمه الثانية أخيرا التحق بكلية الطب وأصبح مصدر الفخر لإخوته ولأمه ، هو الآن في منتصف السنة الثانية ، أخته البالغة من العمرسبعة وعشرين عاما هي مصدر السعادة والأمل له في الحياة ، فهي مَنْ كانت تتكفل بتربيته ومذاكرته ، كانت أمل طاقة النور له بعد وفاة والده وانشغال أمه في العمل لمساعدتهم علي توفير حياة كريمة وانشغال باقي إخوته أيضا في الدراسة والعمل معا ..

بدأت أمل تشتكي من ألم في عظام الساعد ، طلب عمرو منها الذهاب إلى طبيب للاطمئنان عليها ولكنها رفضت نظرا لضيق الحال وأن هذا ألم عابر سيختفي ، وبالفعل اختفى الألم لأيام ثم عاد أشد وتصلبت مفاصلها وتورمت عظام الساعدين ، شعرعمرو بالخطر، حمل أخته

مع إخوته وذهب بها إلى المستشفى ، يدعو الله أن يخيب ظنه و تكون إصابتها شيئاً غير ما يدور برأسه ، طلب الطبيب بعض التحاليل والأشعة وكانت الصدمة القاصمة لظهر عمرو وإخوته ، الأم الثانية مصابه بسرطان العظام ..

أمر الطبيب بتحويلها فورا إلى مستشفى متخصص وأخذ عينات من النخاع لتبدأ أمل رحلتها مع العلاج الكيماوي ، الأسرة ليست ميسورة الحال لدرجة تحمل نفقات العلاج الكامل لهذا المرض اللعين ، جلسات العلاج الكيماوي التي تعصف بأمل ألما كانت تريحها بعض الشيء لكنها أصبحت طريحة الفراش لأيام طويلة ، لم يكن صبر أمل على المرض وابتسامتها في وجه إخوتها يريح صدورهم من الألم وإحساسهم بالضياع ، يجلس بجوارها كل يوم ناظرا إليها: " أهذه أمل؟!! " ،أمل شعلة النشاط ، أمل مَنْ كانت ترعانا جميعا وتتكفل بكل أعمال البيت، أمل مَنْ أنستنا ألم الحياة بعد رحيل أبي، وعوضتنا حنان الأم المطحونة في العمل ..

يقضي ليله داعيا متضرعا إلى الله أن يشفيها ويخفف آلامها ، الدنيا أصبحت لا شيء في وجه عمرو الشاب المفعم بالحيوية والنشاط والذي أقدم على دراسته الجامعية بكل قوة !، عمرو الذي حقق حلمه وحلم أمه وإخوته وحلم أمل ، لم يعد يحس للحياة طعماً وهو يترقب أن يعود إلى المنزل يوما لا يجد أمه الثانية في انتظاره، فهو لا يشعر بأن له قيمة في هذه الحياة إلا حين يسمعها تناديه: "دكتور عمرو " ، يريد أن يتفرغ للعمل ويترك الجامعة ليتكفل بنفقة علاجها ولكنه إذا فعل ذلك فسيخيب آمالها وحلمها أن تراه يوما يرتدي معطفه الأبيض ويمر علي مرضاه ليخفف عنهم آلام المرض..



لماذا اختارك الله يا أمل وأصـــابك بهذا المرض اللعين ؟!! ، هذا السـؤال يراوده باسـتمرار ولكن إيمانه النابع من إيمان أمه الثانية كان يجعله دائما يستغفر الله علي هذا السؤال وأن يتضـرع إليه مرة أخرى كي يشفيها ...

في زيارة أخرى إلى الطبيب بعد جلســات الكيماوي المتكررة كانت الإجابة الصــادمة من الطبيب : "حاولوا أن تسـعدوا أختكم وأن تحققوا لها ما تتمنى"..

وقعت الكلمات على قلب عمرو وإخوته وكأنها جمرات من نار ، إنـه الموت قـادم لا محالـه ، عـاد الإخوة إلى المنزل ، جلســوا بجوار أختهم التي أصبحت علي بعد أيام من مفارقة الحياة ، لا يستطيع أحدهم مغادرة المنزل الذي أصـبح كئيبا وكل ما فيه حزينا، يتجول عمرو في المنزل بـاحثـا عن شـــيء يعطيه الأمل بأن أمل لن تموت ، كل ما في المنزل حزين حتى أن جدران المنزل ونوافذه يشـعرعمرو أنها تخبره بأنه لم يعد هناك أمل !!

صبيحة يوم الإثنين استيقظ عمر النائم في أحضان أمل مبتسما في وجهها :"صباح الخير يا أميرتي "

- صباح النور يا صغيري المدلل : ألن تذهب إلى الجامعة اليوم ؟

- بلى لدي الكثير من المحاضــرات اليوم ولكني أفضــل الإســتمتاع بأحضانك على الذهاب إلي الجامعة ..

بسـمة أمل في وجه عمر وحضـنها الباعث للحياة في ظلمات الغم الذي يعصف بقلبه كانت تخبره بأنه يجب عليه استكمال يومه بطريقة عادية ..



إلي الآن لا يدري عمرو كيف كان حضـــن أمل قويـاً إلى هذه الدرجة، وكيف جعلته بسـمتها ينهض سـريعا من سـريره ليكمل يومه بسعادة وينسى ما يعصف به من هم ...

انتهى يومـه كـأي يوم عـادي وعـاد مســرعـا إلى المنزل ليرتمي في أحضـــان أمل ويســتمتع بعيونها التي تبعث فيه الحياة رغم ما بها من أوجاع ..

علي باب المنزل دخل عمرو مسرعا ليجد أمه تلتقطه بذراعيها قبل أن يدخل إلى المنزل المليء بالعويل والبكاء ..

ماتت أمل ؟!!...

ارتمى عمرو في أحضان أمه وهو يصرخ : " ماتت أمل ؟؟"، قلت لها لا تموتي قلت لها لا أريد أن أترك حضـــنك لن أراك مرة أخرى يا أمل؟!! .. أريد أمل .. أمل لم تمت .. لم تمت .. لن تموت .. أدخلوني إلى أمل .. دفع عمرو أمه وكل من يقابله .. متجها نحو غرفتها .. ليجد أخته وقد غطوا جسـدها وأغمضـوا عينيها ... ارتمى في أحضـانها : أمل انظري إليَّ أنا عمرو أنا صـغيرك .. أنا عمرو يا أمل .. حدثيني .. اسـأليني ماذا فعلت اليوم .. اسـأليني عن حبيبتي .. احتوي مراهقتي .. اضربيني لأني هربت من المدرسة .. أمل لا تتركيني.. أين عصـاك .. عمرو لم يكتب واجبه اليوم .. عمرو أصـــبح طبيبا يا أمل .. أمل لا تتركي عَمْرًا، لم تكملي رسـالتك بعد .. العريس في انتظارك يا حبيبتي .. انظري إليَّ ،لا أريد أن أموت ......

طوقته أمه بذراعيها: "ماتت أمل يا بني هي لا تسمعك "..

لااا، أمل تسمعني ،أمل تكلمني، أمل تحتضنني ،أمل لن تموت ،أمل هي الحياة ... أمل هي الحياة .. أمل هي الحياة ..

تعالت صرخات عمرو داخل العنبر ..

اقترب سعيد من عمر واحتضنه: "هون عليك يا صديقي ".

أمل هي الحياة ....

استفاق عمرو من استرخائه وهو ما زال يصرخ: أمل لم تمت ،أمل هي الحياة ، الحياة لا تموت .. زرفت دموع عمرو الذي يحتضنه سعيد بقوة :"الحياة لا تموت يا صديقي وأمل لم تمت، أمل تحيا بداخلك وأنا أشعر بك وفقدت أملي مثلما فقدت أنت أملك "..

ما زال سعيد يحتضنه محاولا تهدئته وتخفيف ألمه ، حاول عمرو أن يتمالك نفسه ويمسح دموعه بيده، وقف بين السريرين واتجه نحو النافذة ليلحق به سعيد الذي غيَّر مجرى الحديث ليخوض الصديقان في حوار آخر ويشعلان سجائرهما أمام النافذة ..

سعيد : هكذا هي الدنيا يا صديقي لا بد أن تأخذ منا كل عزيز ولكن إيماننا بحكمة المولي عز وجل في فقدانهم يُلهمنا الصبر والتحمل ، كلٌ منا يحوي بداخله ألم لا يعلم به إلا الله ولو دخل كل منا قلب الآخر لأشفق عليه ، الغريب أن من نحبهم يتسابقون مَنْ منهم سيتركنا أولا ،والأوغاد يكملون الحياة وتطول أعمارهم ، لكن ما أشعر أنه حقيقة، هو أن من نحبهم لم يتركونا كليا ، أشعر دائما أن أبي يشاهدني من مكان ما ويشعر بي ، وأنت أيضا لا بد أن أمل تتابعك وتنتظر منك المزيد من النجاح ، لقد زارني أبي كثيرا بعد موته وشعرت بوجوده ولكن ما يؤلمني دائما هو شعوري بأني قد خيبت ظنه ،وأنه يتألم



بسببي، الحياة لا ترحم أحد ولكن الله رحيم بعباده ولا بد أنه سيجازينا خيرا علي صبرنا علي ابتلائه لنا بفقدان مَنْ نحب ..

عمرو : كلامك مريح جدا يا صـــديقي ولكن لماذا نحن فقط نفقد مَنْ نحب ؟!!

سعيد : قلت لك منذ قليل كلٌ منا كان عنده أمل مثل أملك ، ولو اختلفت الأسماء والصفات ، لو طفت علي قلوب كل البشر لوجدت أن جميعهم يحوي بداخله ألم لفقدان" أمل " ..

تنهد عمرو طويلا صـــدقت يا صـــديقي هكذا هي الدنيا لا راحة فيها، ولكن هذه الدنيا لم ترحمني يوما ما ولم يتوقف ألمها عند فقدان أمل ..

سعيد : قل إنك تريدني أعيد عليك السؤال وتأخذ دوري مرة أخرى ..

ابتسم عمرو مجاملا سعيد الذي أحس أنه يريد أن يغيِّر مجرى الحديث بكل الطرق ليخفف عنه ألمه ، لا تقلق يا صـــديقي لن أسـلبك دورك ، هيا استرخٍ واستعد للسؤال ..

- اسأل أولا فربما لا يحتاج سؤالك إلى الاسترخاء ، وأرجوك حاول أن تبتعد عن منطقة فقدان الأعزاء ..

- لنبتعد عن الحزن قليلاً أخبرني عن حبك الأول ؟

نظر إليه سعيد مبتسما :هو فعلا سؤال لا يحتاج إلى الاسترخاء ولكن أريدك أن تعود معي إلى الوراء وتعيش معي تلك اللحظات الجميلة ..

عمرو: هيا بنا ولكن أخبرني إلى أية مرحلة من عمرك ستأخذني؟.



سعيد : سآخذك معي إلى مدرسة الشهيد محمود حسان الثانوية المشتركة ..

عمرو بحماس شديد : هيا... أنا معك يبدو أن الأحداث مثيرة وسنعيش لحظات جميلة ستعيدنا إلى أجمل أيام العمر ..

- هيا يا صديقي هذه هي المدرسة ، ليست بعيدة عن المنزل، مسافة عشر دقائق فقط بالسيارة ، علي باب المدرسة يجلس عم حسين حارس البوابة ينتظر الطلبةالمتأخرين أمثالنا ولكن لا تقلق أستاذ خالد مدرس اللغة الفرنسية جارنا يقف علي البوابة سندخل كأننا من عِلية القوم ..

- صباح الخير ياعم حسين .. بونجور مسيو خالد ..

وقف العم حسين محاولا منعهم من الدخول بدعوى التأخير ..

الأستاذ خالد يرد التحية ويتدخل ليتوسط لهم بالدخول من عم حسين ..

هيا يا صديقي سريعا لنلحق بالحصة الأولي ..

لنصعد الدرج سريعا وأخبرك ببعض التفاصيل لتعيشَ معي الأحداث ..

بعد أن ندخل الفصل في المقعد الأول من الخارج ستكون "جميلة" مترقبة دخولي إلي الفصل ، جميلة هي الحب الأول نحن زملاء منذ الصف الأول الإعدادي ولكن لم أكن أعرفها إلا في الصف الثاني الثانوي ولا تسألني كيف فأنا لا أعلم ولكن بعد حديثي معها قالت إنها كانت تعرفني جيدا رغم أني لم أكن أعرفها، وبعد أن بدأ اهتمامي بها من بعيد كنت اسأل زملائي عن اسمها وكلما سألت أحدهم يقول لي كيف لا تعرف جميلة وقد كانت زميلتنا في المدرسة الإعدادية ويحسبون أنني أسخر منهم وأتظاهر بأني لا أعرفها ..



اليوم ونحن في الصـــف الثالث الثانوي كل المدرســـة تعرف بقصـــتنا وحبنا الفاضـح وحديثنا الدائر بين الحصـص ووقت الاسـتراحات حتي أننا لا نســـتطيع أن نخبئ نظرات الحب الفاضـــحة لنا في كل مكان ، لكني لا أشعر بالخجل فأنا أحبها وأريد أن أخبر العالم كله بذلك ..

أنت الآن أصـــبحت جاهزاً لتدخل معي الفصـــل وتكون مدركاً لكل ما ستشاهد...

طرق باب الفصل، أستاذ محمد مدرس اللغة العربية يفتح الباب..

- أستاذ سعيد المتأخر دائما ، نزلت سهلا وحللت أهلا، أعلم أن الحديث لن يجدي نفعا معك، سأطلب من إدارة المدرسة أن تغير موعد الدخول من أجلك .

سعيد : نسيت أن أخبرك عن هذا المدرس السخيف كثير الثرثرة الذي يحاول اسـتعراض فصـاحته دائما ، ولكن ما يسـكتني عنه أنني أحبه كثيرا فهو فعلا ضـــليع في قواعد النحو وأنـا عقدتي في التعليم هي النحو رغم أنني لا أسـتفيد شـيئا منه ولكن أشـعر أنه متمكن من اللغة العربية ..

دخلت إلى مقعدي صـــامتا ليس لأني لا أســـتطيع الرد عليه ، ولكن لأن أعين جميلة ترصـــدني منذ الدخول بنظرات لهفة وشـــوق وخجل من أجلي فلو أتيحت لها الفرصـــة لقامت وردت عني إهانة هذا الرجل السخيف ..

جلســـت في مكاني وما زالت أعين جميلة تحرســـني ، نظراتها كانت كفيلة بأن تنســـيني همَّ الدنيا ، كنا نتحدث بعيوننا دون أن ينطق أحدنا بكلمة ، بيننا نظرات عميقة وحب كبير منذ بداية هذه الســـنة وباتت

المدرســـة ليس لها حديث غير"ســـعيد وجميلة" رغم أنني إلي الآن لم أفصح لها عن حبي ، ابتسمتُ إليها لكي تنهي نظراتها فالفصل بالكامل نسي الحصة وأصبح يتابعنا ، انتبهت أخيرا وأعادت النظر إلي الأمام ..

ما زال الأستاذ محمد يتابعني فهو يعلم ما يدور جيدا ، أشعر أحيانا أنه يحقد علينا أنا وجميلة ..

استمر مدرسنا الفاضل في سخافته واستعراض عضلاته اللغوية مرتجلا في ابتسامتي التي دقق النظر إليها قائلا ...

أدام الله عليك الابتسامة .. وجعلها لوجهك علامة

وبعدها جننت .. وطرت كالحمامة

قالها وهو يرفرف بذراعية مثل الطيور ..

هذان البيتان من الشعر لا أنساهما ما حييت رخم سخافة القائل ولكن عندما يرتجل أحدٌ شعرا فيك تشعر بسعادة لأنه أمر نادر الحدوث ...

أخيرا انتهت هذه الحصـــــة وجاء وقت الحديث مع جميلة فهناك خمس دقائق كاملة بين الحصـــتين وأنا اشـــتقت كثيرا لصـــوتها والمزاح معها فمنذ درس الأحياء أمس لم أســـمع صـــــوتها ، ولم أرَ عيونها ، وقلبي يخفق منذ أن اقتربت من بوابة المدرسة منتظرا رؤية حبيبتي جميلة ..

انصـــرف الأســـتاذ محمد أخيرا ليبحث عن مكانٍ آخر يثرثر فيه ويستعرض فصاحته ..



تركت جميلة المقعد متجهة نحوي : إلي متى ستظل تتأخر في الحضور ؟!!

- هذه عادتي ليس هناك جديد ، ولكن ليس الأمر بيدي فقد أوشك العام الدراسي على الانتهاء وأحاول الاجتهاد أكثر في المذاكرة ..

ردت جميلة بسخرية: "عاوز تدخل كلية الطب وتفضحنا يا سعيد "..

تعالتْ ضحكاتي في الفصل مما جذب انتباه الجميع تجاهي فأمام أعين جميلة وخفة ظلها لا أستطيع أن أتمالك نفسي وتخرج الضحكات من أعماق قلبي ..

ابتسمتْ جميلة وفرحت لسعادتي بخفة ظلها وأمعنت النظر في عيوني:" أشعر بسعادة بالغة حين أراك تضحك ، أتعمد المزاح وإطلاق النكات معك لأني أرى في عينيك نظرة حزن بالغة لا أعرف هل أنا فقط من أراها أم أنها علامة مميزة لوجهك ؛ لماذا كل هذا الحزن في عيونك يا سعيد ؟! "..

وقعت كلماتها على قلبي وكأنها قطعة من الثلج ، فنادرا ما يلاحظ أحد هذه النظرات فأنا أحب الضحك وكثير المزاح ولا أحب أن يراني أحدٌ حزينا . لقد وصلت جميلة إلى مكان مظلم بداخلي لم يطلع عليه أحد من قبل ، حاولت الابتسام وتغيير مجرى الحديث ولكن نظراتها تقاتلني ولا تريد تغيير مجرى الحديث ...

في وسط هذا الحديث العميق تدخَّل صديقي العزيز عبد العزيز هادم اللذات ومفرق الجماعات بخفة ظله وسخافته : يلا ياعم سعيد يلا ياخاله جميلة الحصة خلصت وعندنا حصة فيزيا وبعدها حصة ألعاب



إبقوا أقعدوا تحت الشـــجرة وإتكلموا براحتكم، ومش هحطك في فريقي تاني ياض إنت ..

فرقنا عبد العزيز بسخافته ولكن هذه المرة جاء في وقته ..

انصـــرفت جميلة غاضـــبة ، عبد العزيز قطع الحوار بيننا وهي كانت تنتظر الرد ، فمنذ بداية علاقتنا ونظراتنا لم أحكِ لها أية تفاصـــيل عن حياتي السابقة ، رغم أنها أخبرتني بكل تفاصيل حياتها بحلوها ومرها ...

انتهت حصة الفيزياء وجميع من بالفصل يستعدون للنزول إلى فناء المدرسة لنبدأ حصة التربية البدنية ، نزلت وسط أصدقائي لبدء المباراة المعتادة .وقفنا في وسط الفناء وأخذت زميلاتنا مكانهن المعتاد بجانب الملعب ليشاهدن مباراة الشباب ، وقفت جميلة بكل براءة علي جانب الملعب تترقب خروجي ليبدأ حديثنا ، أراها جيدا وأحاول التجاهل هروبا من السؤال الذي تنتظر هي إجابته ، عبد العزيز يتابع الموقف ويعرف أنها تنتظرني، انشغاله في تقسيم الفريقين لم يمنعه من اســـتكمال مهمته في إخراجي من الملعب :" يلا يا ابني انت اطلع بره أنا مش قايلك مش هتلعب معانا تاني "

- بطل رخامه ياض أنا عاوز ألعب النهارده مش طالع ...

اقترب عبد العزيز مني: " ياعم أنا بعمل أي شبورة عشان أطلعك البت واقفة وراك ماسكة نفسها بالعافية ، يلا روح شوفها عاوزة إيه ، شكلك مزنوق آجي أساعدك ؟

-ياض بطل غلاسه انا عاوز العب ..



- يللا ياض بره خلي عندك دم دا أنا حاسس إنها هاتيجي تشدك من وسطنا ، لو اتزنقت نادي علي أخوك وأنا هظبطك ..

- ياعم اسكت أنت مش فاهم حاجه الله يخرب بيتك ..

لم يتنازل عبد العزيز عن موقفه وأصر علي إخراجي من الملعب ، دفعني خارج الملعب ولاح بيده إلى جميلة :" أي خدمة يا ست الكل " ...

الشخص الوحيد الذي لم أكن أغارمنه علي جميلة كان عبد العزيز أثق به وأعلم أنه يحبني بصدق ويريد دائما أن يراني سعيداً ،ولا يحقد علينا ويعرف أن سعادتي تكتمل في حديثي مع جميلة ..

خرجتُ من الملعب متجها نحوها ليبدأ حديثنا ..

استمر إلحاح جميلة علي سؤالها الذي ما زلتُ أتهرب منه ، هي تشعر بفجوة بيننا رغم أني أحبُّها كثيرا ولكنها قلقة من بعض تصرفاتي فهناك أشياء كثيرة لا تعرفها عني ، لم أجد مفراً من عينيها فأصررت أن أفصح لها عن شيء يريح قلبها ..

- جميلة ، أنا عارف أنك في حيرة من تصرفاتي وأنك متعرفيش تفاصيل كتير عن حياتي السابقة ، أعذريني أنا مش عارف سر الحزن اللي بيبان في عنيا ده ايه ، وقليل جدا من اصحابي اللي لاحظو كده ، لكن الشيء الوحيد اللي نفسي اقولك عليه هو إني (بحبك) ..

ارتبكت جميلة واحمّر وجهها وتلعثمت، لم تستطع أن ترد بكلمه ،نهضت مسرعة وأخذت تجري بعيدا عن المكان ، تصرفها كان ملفتاً للأنظار تبعتها صديقتها إسراء لتعرف ماذا حدث ..

دخلتا ســويا إلى الفصــل وأنا ما زلت مكاني ،لا أعلم إذا كان ما فعلت صحيحا أم لا ..

عادت إســراء مســرعة وعلى وجهها ابتســامة عريضــة وقفت أمامي مبتسمة: "أخيرا أبو الهول نطق!! "..

كلمات إسراء الساخرة أراحتني من هم كبير ، في هذه اللحظة شعرت بسعادة افتقدتها منذ سنين طويلة ، خفقان قلبي وصل إلي درجة فاقت الاحتمال ، السعادة تجوب كل أنحاء جسدي ، وقفت غير مدرك لمكاني ولا لأفعالي ..

أخيرا شعرت أن لهذه الحياة طعماً ..

حاولت أن أتظاهر بأنني لم أفهم شيئاً من كلام إسراء ..

-تقصدي ايه بالكلمة دي يا إسراء

ابتسمت إسراء مرة أخري :" اسأل جميلة " ، قالتها ثم انصرفت.

حـاولـتُ أن أعود إلي المبـاراة مع زملائي وأتجـاهـل هذا الإحســـاس الجميل حتي لا يشـعر أحد بما حدث ، اندمجتُ في اللعب بسـعادة بالغة وانتهتْ الحصــة وعدنا إلى الفصــل ولكن جميلة وإســراء لم تكونا في الفصل ...

تأخر أستاذ محمود مدرس الأحياء كعادته ومرت عشر دقائق من الحصة و لم يأتِ بعد ،انتشرت الفوضى في الفصل ، جميلة وإسراء لم تحضرا بعد ..



ترك عبد العزيز مقعده وجاء ليجلس بجواري بعدما لاحظ اعتزالي للفوضى المنتشرة في الفصل التي يتزعمها هو كعادته ويقودها بجدارة ..

- إيه يا ابني أنت قاعد ساكت ليه دا في معجنة هنا وشبطلك العيال في بعض ، في ماتش مصارعة وراك ..

- سبني في حالي ياعم مش فايقلك ..

تجول عبد العزيز بنظراته في الفصل ليلاحظ غياب جميلة..

- اوباا، جميلة مش هنا يا نجم أنت عملت إيه ؟؟

- وله ، ابعد عني أنا مش طايقك ..

- أنا مش قايلك لو اتزنقت نادي علي أخوك ..

- عبد العزيز، وربنا أنا ما فايقلك ابعد عني بدل ما اخنقك ياله.

- في إيه يالا مالك ما تروق كده وقولي عملت إيه عشان أعرف أساعدك ،والبت إيه اللي خلاها تطلع تجري وتسيب الحوش ..

- وحياة أبوك يا زيزو سبني دلوقتي وروح شوف ماتشات المصارعة بتاعتك ...

أخيرا اقتنع عبد العزيز أن يتركني وعاد ليكمل فوضاويته ويعلق علي مباريات المصارعة التي أشعلها ...

وسط هذه الضوضاء دخلت جميلة وإسراء من باب الفصل وجلستا في المقعد الخاص بهم ، الدماء كادت أن تنفجر من وجه جميلة التي أتابعها



وانتظر نظرتها ولكنها ما زالت تركز نظرها في اتجاه آخر وغمزات إسراء المستفزة مستمرة في اتجاهي ..

وضعت جميلة وجهها علي المقعد لتخفيه عني ، فانتابني شعور قاتل إذ أصبحت غير مدرك هل تصرفها هذا خجل وهي تبادلني نفس الشعور أم أنها غاضبة من تصرفي ، كلمات إسراء منذ قليل أسعدتني ،ونظراتها الآن غمزات تتوعد بعقاب ...

ترك عبد العزيز زعيم الفوضوية مباريات المصارعة وعاد إليَّ مرة أخرى ، لا أعرف كيف يتابعني في وسط هذا الكم من الضوضاء والعبث ..

- قوللي يا ابني عملت إيه البت شكلها مفطورة من العياط أنت نيلت إيه دي حاطه وشها في الدرج من ساعة ما دخلت ، قولي وأنا هظبطلك الدنيا ..

- يا ابني سيبني في حالي بقي أنت مركز معايا ليه النهارده ..

- طب قوللي قلتلها إيه بدل ما أعرف بطريقتي وأنت عارف هو كيس فيشار بربع جنيه وهجيب أخبارك كلها من إسراء دي تبيع أبوها بخمستاشر قرش ..

- يادي النبيله ، ياعم قلتلها إني بحبها واكتم بقي ومتسيحش في الفصل..

- حلاوتك يا نجم حلاوووتك ، خلاص روق كده وسيبها علي الله وعليّا ما احنا كلنا ملاحظين إنكم بتحبوا بعض ..



- انقضـــي اليوم الدراســـي وانصـــرف كلٌ منا إلى منزله ، انتظرت ســـاعتين علي أحرٍّ من الجمر بعد ذهابي إلى المنزل في انتظار درس الأحياء..

ذهبت مســـرعا إلي الدرس وانتظرت أمام غرفة الدرس فقد اعتدت الذهاب مبكرا لأجد جميلة في انتظاري ، مرت عشر دقائق ولم تأتِ بعد ، القلق والفكر يعصـــفان بعقلي وقلبي معا ، ولكن أخيرا خطوات جميلة اقتربت بابتســـامتها وخجلها القاتلين واللذيْن يبعثان الحياة في قلبي ، اقتربت مني وتبدل الحال ، أصـــبحت أنا الخجلان ووجهت نظري إلى الأرض .

- إيه يا أستاذ بتدور علي إيه في الأرض ...

- مفيش حاجة إنتي عاملة إيه ؟

- نا كويسة إرفع بوزك كده وكلمني إيه اللي انت عملت ده؟!

- عملت إيه ؟! معملتش حاجة !!..

مدت يدها بجرأة لم أتوقعها وأمسكت بذقني :ارفع راسك كده يا أستاذ وقوللي إيه اللي انت عملته ده ؟!

نظرت إليها ولم أستطع أن أنزل عيني عنها ، اليوم هي مختلفة عن أي يوم ،ابتســـامتها ونظرات عيونها أخرجوني من الدنيا وســـجنوني في ســـجن من الجنة ،لا أريد أن أخرج منه ، تمنيت لو قضـــيت عمري ناظرا إليها ومستمتعا بابتسامتها الساحرة .....

أطال ســـعيد نظراته إلي الحديقة مبتســـما وهو يتذكر تلك الأيام الجميلة والحب الطاهر البريء الخالي من أية شوائب.



تنهد عمرو الذي اندمج كثيرا مع سـعيد ، لماذا توقفت عن سـرد باقي الأحداث ؟!!

- لا بد أن أمارس معك أسلوبي المميز في سرد الأحداث والتشويق...

ضحك عمرو لكلام سعيد وفهم ماذا يريد أن يقول " يمكنك أن تستريح قليلا وسـيكون فنجان القهوة جاهزاً" ، نادى عمرو علي أحد العاملين وأمره بإحضـار فنجانيْن من القهوة وعلبة سـجائر، يبدو أن الحديث سيطول ..

عمرو : إذا كنت تريد مزيداً من التشويق اسمح لي أن أقطع حديثك عن جميلة وسأخبرك أنا عن "روح " ..

أغرب حالة قابلتها في حياتي المهنية ، روح هي الحالة الوحيدة التي حيرتني ولا أعرف إلى الآن إذا كانت تعاني من مشاكل نفسانية أم أن قصتها حقيقية ، سأخبرك بقصتي مع روح ...

- ابتسم سعيد مداعبا عَمْرًا: "سأمنحك الفرصة ، ولكن إذا كانت قصتك مملة سأقاطعك مباشرة "

- كان يوم النبطشية الخاص بي في المستشفى وكعادتي أجلس هنا في العنبر ، وقفت أمام النافذة أتأمل الحديقة إلي أن رصـدت عيني امرأة تقف أمام البوابة ، تنظر إلى المسـتشـفى وغير منتبهة إلى حديث الحارس الذي يكلمها ولا تسمعه ...

لا أعلم لماذا خرجتُ من العنبر واتجهتُ نحو البوابة لأجد امرأة في بداية الأربعينيات تحملق في كلما اقتربت من الباب ، اقتربتُ منها



كثيرا وهي ما زالت تنظر إليَّ وبدون مقدمات سألتها :"هل تبحثين عن شيء ؟!

- لا أبحث عن شيء مَنْ أنت وماذا تريد ؟!

أنا دكتور عمرو طبيب نفساني واليوم يوم نبطشيتي ،

تفضلي إلي مكتبي وأخبريني كيف يمكنني مساعدتك ..

تمتمت روح بكلمات لم أسمعها ثم قالت لي :حسنا سوف أدخل وأجلس معك قليلا أنت مثل ابني ..

-يشرفني وجودك يا أمي ..

دخلتْ معي الي مكتبي ، كنا في وقت متأخر من النهار والشمس علي وشك الغروب ..

جلستْ روح علي كرسي أمامي وقالت: أنت مثل ابني سأحكي لك قصتي وأنصرف ولتعلم أنني لست مريضة نفسانية ، أنا فقط أريد شخصاً أتحدث إليه ..

- حسنا تفضلي وأنا كلي آذان مصغية ...

- أنا "روح " اثنان وأربعون سنة ، متزوجة ولدي ثلاثة أبناء، كنت طفلة صغيرة لم يصل عمري ثمان سنوات ، وذات يوم كنت ألعب مع الأطفال في الشارع ودخلنا إلى أحد البيوت المهجورة ، صعدتُ سلالم هذا البيت المهجور استندتُ إلى أحد جدران السلم ولم أشعر بنفسي إلا وجسدي يرتطم بالأرض ، لم تكن الصدمة قوية ولم أُصب بكسور ،ولم يتأذ جسدي ، لكن بعد أن حملوني إلى المنزل بدأت قصتي ..



اعتدلتُ في جلســتي منتبها إلى حديثها واســتجمعت كل تركيزي لهذه السـيدة التي خطفت كل انتباهي من الوهلة الأولي ، يبدوا أن لـها قصـة مثيرة للاهتمام ..

نظرتْ إليَّ ببراءة:

التبسـني جن وأنا عمري ثمان سنوات ، كنت في العام الأول في أحد المعاهد الأزهرية الابتدائية...

زاد انتبـاهي لهـا رغم أني لا أؤمن بقصـــص الجن، لكن طريقتهـا وتعبيرات وجهها مثيرة للفضول ..

استطردتْ روح ،قبل أن أحكي لك قصتي أحتاج منك وعد بأن لا تقص حكايتي علي أحد ،إذا كنت لا تقدر علي تحمل مســؤلية هذا الوعد اخبرني ولن أحكي لك تفاصـيل كاملة ، فقط سـأخبرك ببعض الأحداث ..

قلتُ لها حسنا أعدك وأنا قادر علي صيانة عهدي معك ...

شردتْ قليلا ثم أعادت النظر إليَّ ...

- التبســـني الجن منذ هذه الحـادثـة لأنني ســـقطت علي أحدهم حيث يســكنون هذا البيت المهجور ، بدأت تنتابني نوبات مرضــية بســبب وبدون سـبب ، ظللت علي هذه الحال كل عام في نفس التوقيت يتكرر المرض ويختفي دون ســـبب ودون تدخل طبي ، إلى أن انتهيت من المرحلة الابتدائية ، كنت أرى خيالات دائما وأتحدث مع أشـــخاص لا أعرفهم حين أجلس بمفردي ، ظللتُ علي هذه الحال لعدة ســـنوات إلى



أن انقضت المرحلة الإعدادية ، في المرحلة الثانوية بدأ التعب والمعاناة تشتد ..

ســـكتتْ روح قليلا وبدأتْ تتذكر دروس القرآن الكريم وحفظها لـه والتزامها منذ طفولتها وارتدائها للحجاب منذ الصـــغر، وكيف كانت انطوائيـة في المرحلـة الثـانويـة مرحلـة المراهقـة ، كيف كـانـت تعتزل صـــديقاتها وقصـــص حبهم الملتهبة ، كانت تختلف عنهم كثيرا ولم تستمتع بمراهقتها مثل البقية ، لم تتوقف مراهقة روح عند هذا الحد من الغرابة والعزلة ...

نظرت روح إلي عمرو : تلك الصـــفات والتصـــرفات من الممكن أن تكون أموراً عـادية، وتحســـب أن ذلك لم يكن بفعل الجن إنما هو فقط طباعي وشخصيتي الانطوائية ..

- أكملي دون أن تفكري فيما يدور برأسي ..

- أعادتْ روح رأسها إلي الخلف لتتذكر أحد أيام المراهقة ..

عادتْ من المدرسة ودخلتْ البيت مسرعة تبحث عن أمها ..

تنادي عليها قبل الدخول، أمي أين أنت ؟؟

خرجت الأم مســـرعة تجاه ابنتها ، ماذا حدث لماذا تجري مســـرعة هكذا ؟؟

- أمي ، جدتي وأعمامي الاثنان سوف يموتون الأسبوع القادم ، عمي إبراهيم سوف تصدمه سيارة وهو عائد من العمل وسيموت وستلحق به جدتي عائشـــة بعدها بيومين حزنا عليه ، بعد أن تموت جدتي ســيلحق بها عمي محمود بعدها بيوم واحد !!...



دخلت روح في نوبة بكاء شـــديدة ولم تســـتطع الأم إســـكاتها ، تعالت ضحكات امها وهي تسخر من كلام طفلتها :" وكيف علمتي بكل هذا؟! هل تقرئين الفنجان أم إنك تعلمين الغيب؟! ، كل هذه هواجس لا تخافي يا ابنتي استغفري ربك واهدئي "..

هدأتْ روح قليلا ودخلتْ إلى غرفتها ولكنها ما زالت قلقة ، انقضـــت أيام قليلة ودق هاتف المنزل ردت روح علي المتصل ، إنه اتصال من أحـد زملاء عمهـا إبراهيم يطلـب أبيهـا :" لمـاذا تريـد أبي هو ليس بالمنزل".

- أريد شخصاً اخر أحدثه ..

نادتْ روح علي أمها ، أمسكتْ الأم بسماعة الهاتف وبعد أقل من دقيقة صرختْ صرخات جمعت كلَ مَنْ بالمنزل والشارع: " مات إبراهيم "

صـــرختْ روح وراء أمها وأغمي عليها في الحال ، فقد تحققت نبؤتها وبـالفعل اكتملت النبوءة تمـامـا ولحقت جدتهـا وعمهـا محمود بعمهـا إبراهيم في نفس الأسبوع ...

أعـادتْ روح النظر إليَّ مرة أخري بعيون بـاكيـة :مـاتوا جميعـا كمـا أخبرت أمي !!

اعتدلتُ مرة أخري غير مكترث بدموعها : كيف تنبأتي بموتهم وكيف علمتي أنهم سيموتون ؟!!

لم تجب روح علي سؤالي وأردفت:

- كان أبي مسافرا إلى إحدى دول الخليج كنت أحلم به وأحدثه، وعندما أمرض كنت أجد أبي في اليوم التالي يحضـر إلي مصـر لأنني شـاهدته



في منامي ، بدأت أمي تنزعج من أحلامي وتتشاءم مني ، حتي توقفت عن إخبارها بما أرى في منامي ، ولم أعد أرسل خطابات إلى أبي إلا بعد أن تراها هي وتقرأها أولا ، حتي اقتربت المرحلة الثانوية من الانتهاء بدأ يظهر لي نمر أسود مخيف ، أرى خيالاته وأحيانا أتحدث معه ، كنت أخرج من المدرسة وأظل أمشي في الشوارع لساعات ، خيال هذا النمر كان دائما بجواري أوقعني في مشاكل كثيرة ونجاني أيضا من مصائب كثيرة ، كانت أجمل أوقاتي حين أراه أو أتخيل وجوده ، مواقف كثيرة ، كنت أراه وأشعرأن الموقف يتكرر وأتصرف بطريقة على غير طبيعتي وشخصيتي ..

انقضت المرحلة الثانوية وبدأت دراستي الجامعية ، تعرفتُ علي زوجي الذي خطبني بعد أقل من شهر من علاقتنا ، قبل أن تتم الخطبة فقدت الوعي ودخلت في غيبوبة لمدة ثلاثة أيام ، طريحة الفراش في غرفة العناية المركزة ولا يعرف أحد السبب، حتي الأطباء لم يعرفوا سببا أو تشخيصا لحالتي !!!...

زاد انتباهي إلى حديثها واستأذنتها أن أشعل سيجارة فحديثها مثير جدا لفضولي وكل كلمة اختزلها في عقلي لأعرف إذا كانت صادقة أم إنها تعاني من مرض نفساني ...

هيا أكملي وأتمني أن لا تتوقفي مرة أخري ...

استطردتْ روح ، بعد ثلاثة أيام من النوم في غرفة العناية المركزة استفقت بدون أي تدخل طبي !!

لكن هذه الحادثة أثرت فيَّ بشكل كبير، لم أعد أستطيع النوم بالقدر الكافي ولا أستطيع تناول الطعام كالسابق ، بعدها تمت الخطبة وحضر العريس ومعه الشَبْكة ، بعد أسبوع من حفل الخطبة أصبتُ بنزيف دائم



لا ينقطع لمدة شهر كامل ، نزل وزني إلى خمسة وأربعين كيلو جرام ، بعد عمل تحاليل وفحوصات كثيرة جاء تشخيص الأطباء بوجود ورم في الرحم ولا بد من إجراء عملية جراحية لاستئصاله ، بالفعل تم تحديد ميعاد لإجراء الجراحة ، الطريف في الأمرأنه قبل ميعاد الجراحة بيوم تناولت طبق كشري كبير الحجم، بعدها شعرت بألم شديد في بطني وحملوني إلي المستشفى وكان التشخيص الطبي أن الزائدة الدودية ملتهبة ولا بد من استئصالها فورا ، وهنا كانت ترتيبات القدر يعجز أمامها العقل ، أجريت الجراحة في الساعة الرابعة فجرا ، كانت تعليمات الأطباء أن أتمشى قليلا في حديقة المستشفى من أجل الجراحة ، أثناء سيري في الحديقة لاحظت رجلاً كبيراً في السن يتابعني أنا وأمي ، نادانا فلم أُعره انتباهي وحدثته من مكاني ، ذهبتْ أمي إليه وبدون أية مقدمات قال لها :" ابنتك مصابه بمس من الجن وما تشتكي منه ليس مرضاً ، هي ليست مريضة وكل ما حدث لها كان بفعل الجن ، غدا بعد صلاة الظهر سأكون هنا في انتظارك لأعطيك ورقة بها كل ما عليك فعله " ..

ذهبتْ أمي في اليوم التالي الي المكان الذي حدده لنا وأعطاها الرجل الورقة ونفذنا كل ما ورد فيها بحذافيره وبالفعل توقف النزيف ..

لم يصدق الأطباء ما حدث ولكني شعرت بأنني أفضل ولم أهتم بكلامهم ورفضت إجراء عملية استئصال الرحم ..

كلام روح أذهلني فأنا طبيب ، كيف لي أن أصدق ما تقوله وأؤمن بورقة كتبها ذلك الرجل ، لم أستطع منع نفسي من مقاطعتها ..

قاطعتها علي الفور ، ماذا كتب الرجل في هذه الورقة وما هي التعليمات التي نفذتيها ؟؟



- لم تكن تعليمات كثيرة ، لكن الأهم أنه أمرني بأن أضـــع هذه الورقة في ملابسي وأن تلازمني دائما ، لا يمكنني أن أخبرك بأكثر من ذلك...

- نظرت إليها نظرة استغراب وعدم طمأنينة لما تقول ..

لم تبالِ روح بنظراتي وأكملتْ: ..

- بعد أن توقف النزيف دخلتُ في دوامة الاغماءات المتكررة ومرض القلب ، الأطباء شخصوا أكثر من تشخيص وتضاربت آراؤهم كثيرا ، بعضهم شخص الحالة بارتجاع في أحد الصمامات ، وبعضهم قال إنه عيب تكويني، وآخرون شـخصـوه بأنه مرض الربو ، المهم في الأمر أنني كنت أشعر بأني سأفارق الحياة ، فجلدي يتلون بالأزرق وقلبي لا أسمع صوت نبضاته فقد أصبحت معدلات النبض مختلفة ومضطربة ولم تعد منتظمة ، بدأت أتناول علاج القلب لمدة عام ونصف ، حصلت علي وظيفة في إحدى المستشفيات ..

في احد ايام نبطشيتي تشاجرت مع أحد الأطباء وانهلت عليه ضربا ، اجتمع العاملون لينقذوا الرجل من بين يداي وبعد ان انتهى العراك أقســم إنه كان يمازحني وأنا أســأت فهمه وأنه رآني في هيئة نمر وضربته ضربا مبرحا ، لم يستطع ان يستمر في العمل بالمستشفى وقدم طلب نقل وغادر المستشفى ..

بعد الزواج بأيام بدأ النمر يظهر بصـورة أوضـح يوميا وحين أحكي لزوجي يقول إنها خيالات ، بعد فترة اقتنع زوجي بأنني بحاجة إلي علاج روحاني ،وبدأ يطلب مني الذهاب إلى الشيوخ المختصين ، كنت دائما أرفض، لكن إلحاحه الدائم جعلني أذهب معه إرضـــاءً له ، كنا قبل أن ندخل إلي الشـيخ من هؤلاء أخبر زوجي بما سـوف يحدث



وبما سيقول وما سيفعل ، وبالفعل يحدث كل ما أخبره به ، إلي أن ذهبنا إلى أحدهم ...

أطاحت روح رأسها إلى الوراء قليلا وبدأت تتذكر ذلك اليوم .

على مشارف قرية صغيرة تبعد عن القاهرة مسافة خمسين كيلومتراً وصلتْ روح وزوجها باحثيْن عن منزل الشيخ أبي يوسف ،ساقهم أحد الأطفال في الشارع الي المكان ، منزل شاهق خلفه كوخ كبير بمدخليْن ، بداخله تقام جلسات العلاج من المس الجني والسحر التي يقوم بها أبو يوسف بطريقه تقليدية إلي حد ما ، تدخل الحالات مع كل حالة مرافق وفي أحد غرف الكوخ يجلس أبو يوسف علي كرسيه ويغلق الكوخ جيدا وتُطفأ الأنوار ويشعل بخوره ويبدأ في تلاوة تعاويذه ويتمتم بكلماته غير المسموعة ، وإذا كان هناك أحدٌ من الحضور قد عُقد له سحر أو أصابه مسٌّ يصرع في الحال ، ما زالت روح في غرفة الاستقبال ولكنها تسمع الصراخ والضجيج الصادر من غرفة العلاج ، فجأة خرج الدجال من غرفته وترك حالاته ووقف أمام باب غرفة الاستقبال وأخذ يدور حول نفسه حتي استدار ناحيتها ، أخذ يحملق فيها بعيون بارقة ، اتجه نحوها وبدأ يضربها ولكنها لا تشعر بشيء ، انقضّت روح عليه وأسقطته أرضا وأخذت تكيل له اللكمات حتي كسرت أنفه وكادت تفقأ عينيه ، أنقذه الحاضرون من بين يديها بأعجوبة ، وقف الرجل صارخا بعدما ضاعت هيبته: "بعد أن تستفيق هذه المرأة أخرجوها من بيتي ولا تأتوا بها إليَّ هنا مرة أخرى" ...

سكتت روح وعادت من شرودها قائلة :كان يوماً لا يُنسى وبالفعل لم نذهب إلى هناك مرة أخرى ، ركبتُ سيارة الأجرة مع زوجي في

الكرسي الأمامي، نظرت إلى نفسي في مرآة السيارة فلم أرَ وجهي ، أمعنتُ النظر في المرآه فرأيتني نمراً أسوداً يبتسم ...

اندمج سعيد مع حديث عمرو ، لاحظ عمرو انتباه سعيد الشديد مع ما يُحكى عن روح ..

عمرو: هل أعجبتك القصة ؟

سعيد : هل انتهت ؟!

عمرو : بالتأكيد لا ، لم تنتهِ بعد ، لم أكمل نصف الأحداث فالقادم أعجب بكثير ..

سعيد : لماذا توقفت ؟!

عمرو: أريد أن أعرف إذا كانت قصتي مشوقة أم لا ، لكن يبدو أنك تفاعلت معها كثيرا ، أكمل لي قصتك مع جميلة أشعر أنك تريد أن تنهيها ، فلتخبرني بما حدث بعدما اعترف كل منكما بحبه إلى الآخر ..

وقف سعيد واتجه نحو النافذة، نظر إلي الخارج ثم استدار ناحية عمرو ينفث دخانه متنهدا.. اااه جميلة!! ...

تغيرت نبرة صوت سعيد، التفت إليه عمرو :" عندما توقفت عن حكي قصتك مع جميلة أردتَ ألا تكملها ؟! أم إنك كما قلت تريد أن تضفي على حديثنا مزيداً من التشويق ؟!!"



ابتسم سعيد : يبدو إنك أذكى مما توقعت يا صديقي ،سأكمل لك ما حدث بعد ذلك ..

-في نفس اليوم الذي اعترفتُ لها بحبي صارحتني هي أيضا بحبها، أخبرتها ببعض ما مضى من حياتي وأرحتها من همِّ التفكير في نظراتي الحزينة، استمر حديثنا اليومي وكل يوم ينمو حبها بداخلي إلي أن انتهت الدراسة الثانوية واستطعت تحقيق حلمي وانتقلت إلى المرحلة الجامعية ، وصلت إلى الكلية التي طالما حلمت بها ، جميلة لم توفق بالقدر الكافي والتحقت بكلية أخرى ، التحقتُ انا بكلية الطب والتحقت هي بكلية العلوم ، استمرت علاقتنا وحبنا ، كنا نتقابل مرتين أو ثلاث كل أسبوع في الجامعة ونجلس سويا وننسى الوقت ، فالعمر الذي يمر مع جميلة غير محسوب ، تخطيت العام الأول وانتقلت إلى السنة الثانية وكان موعدي مع جميلة بعد انتهاء اليوم الدراسي، كنا في منتصف الفصل الدراسي الثاني ...

صمت سعيد مرة أخرى وأدار وجهه نحو النافذة ، تركه عمرو لفترة قليلة ثم تحرك ليقف بجانبه ينظر إليه ويتابع شروده بتعجب ، ما زال سعيد ينفث دخانه بهدوء شديد ولم ينتبه إلى عمرو فقد عاد إلى ذلك اليوم الذي لم ينسه بكل تفاصيله .....

يوم الأحد السادس والعشرين من مارس يدق هاتف سعيد ، إنها النغمة الخاصة بجميلة، أسرع سعيد نحو هاتفه:

" حبيبتي وحشتيني "

- حبيبي ، وانت كمان وحشتني ، عندك جامعه بكرة ؟

- لا ما انتي عارفة بكرة رست ..



- عاوزة أشوفك ضروري ..

- خير يا حبيبتي في إيه ؟!

- هقولك بكرة هستناك في المكان بتاعنا ..

- حاضر يا حبيبتي بس فهميني في إيه ؟!

- هستناك بكرة ، سلام ..

حاول سعيد معاودة الاتصال بها ليعرف ماذا حدث ولكنها لم ترد علي اتصاله ، ثم أعادت الرد برسالة نصية: "سعيد أنا مش عارفه أرد هستناك بكرة وهتفهم كل حاجة "..

جلس سعيد طيلة ليله ينتظر اتصالها أملا في أن يفهم ماذا يجري ، فأسلوب جميلة مختلف ونبرة صوتها مختلفة، أفكار كثيرة تدور برأسه وقلبه يخفق بشده من كثرة التفكير والخوف مما يحوم في عقله من أفكار ، لم يستطع سعيد النوم ، ظل جالسا إلي أن أدركه صباح اليوم التالي ، تأنق في ملابسة الشتوية وذهب إلى لقاء حبيبته ..

وصل سعيد إلى المكان المعهود والذي اشتاق للقاء الأحبة ، ليجد جميلة في انتظاره مرتبكة وقلقة ..

أسرع سعيد ناحيتها :" حبيبتي وحشتيني إيه اللي حصل إمبارح ؟"

ازداد ارتباك جميلة أكثر : سعيد ، تقدر تتقدملي رسمي؟

اندهش سعيد من سؤال جميلة المفاجيء وغير المتوقع ..



- حبيبتي ،انتي عارفة إني في الوقت الحالي مقدرش ، واحنا متفقين أول ما تتخرجي هتقدملك

- أنا جاية النهارده عشان أقولك إن في واحد متقدملي ..

أطال سعيد النظر في عيون جميلة: " عاوزة تقولي إيه ؟،

وإيه الجديد ما كل يوم في عرسان بتتقدملك وبترفضي ؟!!"

- بس المرة دي أنا وافقت ....

صعق سعيد من كلمات جميلة، شُلَّ لسانه ولم يستطع الرد ولو بكلمة ، ابتعد غير مدرك لمكانه ولا يعرف كيف تحمله أقدامه اصطدم سعيد بشجرة صغيرة وسقط بجوارها ، نام علي ظهره باسطاً ذراعيه، عيونه تزرف بالدموع ينظر إلى السماء ، غير قادر على الحركة ، يحاول استجماع قوته ، إنني في أمسِّ الحاجة إليكِ يا جميلة ، إني أحبك ، بكل هذه البساطة تستغنين عن سعيد !! ..

ثلاث سنوات تمر أمام أعين سعيد :" كيف تنتهي قصتنا هنا يا جميلة ؟!"....

لماذا منحتيني الحياة ، ثم سلبتيها مني بكل عنف ودون رحمة ولا رأفة ..

استجمع سعيد قوته وحاول الوقوف علي قدميه ،خرج من بوابة الجامعة ركب سيارة الأجرة يتأمل اللحظات الماضية:

" هل كانت حلم؟!! هل هذه جميلة " ثلاث سنوات من عمري ذهبت هباءً منثورا ؟!



أعاد سعيد نظره ناحية عمرو بعيون أوشكت علي البكاء ، نظر إليه عمرو بعيون باكية :" دعها تنزل يا صديقي " علَّها تكون شافية أشعر بك ولم أتمالك دموعي ، شعور قاسٍ عندما يتخلى عنك أحب مَنْ لديك ومَنْ كنتَ ترسم حياتك ومستقبلك بوجوده" ...

تساقطت دموع سعيد : بعد أيام كانت خطبة جميلة فالعريس في أجازه قصيرة ....

- سعيد ،لقد قالت إنها وافقت على العريس ، ألم تخبرك ماذا كانت حجتها في التخلي عنك واللهث وراء أول عريس لديه القدرة المالية لتحمل نفقات الزواج ؟؟!!

- كانت حجتها قوية يا صديقي حينما سألتها بعد ذلك اللقاء بيومين..

عمرو: وأين كانت عندما ابتعدت عنها واصطدمت بالشجرة وسقطت علي الأرض ؟!!

- عندما قالت لي جميلة إنها وافقت على العريس فعلا لم أدرك ماذا فعلت ولا في أي اتجاه مشيت ، لا أعرف حقا أين ذهبت لقد ألقت بكلمتها في وجهي وأدارت وجهها مسرعة ، حين سقطت علي الأرض تمنيت لو كانت تمازحني وأفتح عينيّ على عينيها وهي تبتسم لي وتقول إنها كانت تمزح، لكن عندما استجمعت قوتي ونهضت لم أجدها كما تمنيت ..

- تصرفك غريب يا صديقي وغير متوقع ، لماذا لم تسألها عن سبب تخليها عنك حينما أخبرتك بذلك أو حتى تطلب منها منحك الفرصة للمحاولة من أجل ارتباط رسمي ؟!..

أعتقد أنك أخطأت التصرف في هذا الموقف ..



- تنهد ســـعيد طويلا ثم نظر إلى الحديقة محاولا التهرب من ســـؤال الصديق ..

عمرو : لا تحاول التهرب من سؤالي ، "هنا مربط الفرس" ولأول مرة يصــل أحدنا إلى الجانب المظلم من قلب الآخر منذ أن بدأت جلســتنا، وهذا كان شـــرطك الوحيد عندما أخبرتني بقوانين لعبتنا، لديَّ يقين أن ما ستخبرني به الآن لم تفصـح عنه لأي شـخص قبلي ولا حتى أقرب أصدقائك، هيا اعترف ..

- قلت لك إنك أذكى بكثير مما توقعت ..

قبل ذلك اللقاء بأيام كانت علاقتي بجميلة مضــطربة وأصــابها بعض الفتور، شـــعرتْ جميلة بذلك، لكني أقنعتها أن هذه أمورعادية بين أي حبيبين ، الاضـطراب والفتور في علاقتنا كانا بسـبب بعض تصـرفات جميلـة وحـديثهـا الـدائم عن معجبيهـا ومَنْ يحـاولون التقرب منهـا من زملائها ، كانت تريد أن تشـعل نار الحب في قلبي "على حد زعمها " ، حين أخبرتها بأن كلامها عن هؤلاء يضـايقني ، كانت تضـحك وتعيد كلامهـا يوميـا ، لم تكن تعلم أنني كنـت أعرف كـل مـا تخفيـه عني من أخبـار عن طريق صـــديقتهـا الوفيـة إســـراء، قبـل هـذا اللقـاء بيومين أخبرتني إســراء بأن هناك شــاباً يريد خطبة جميلة وتقدم إليها رســميا وأن جميلة تفكر بالأمر علي محمل الجد ، لكنني لم أصــدق إســراء ، اعتقدت أنها تغار من جميلة وتجاهلت كلامها ، لما كنت أراه في عيون إســـراء من نظرات حب وإعجـاب لي وأنهـا تريد الوقيعـة بيني وبين صـــديقتها ، لم أكن أعلم أن من يحبك يتمني لك الســـعادة حتي لو مع غيره ، كانت إسراء صـادقة للأسـف ولكني تجاهلت أخبارها ولم أخبر جميلـة بمـا قـالتـه، لا أخفي عليـك ســـرا، رغم تجـاهلي لكلامهـا إلا أنني كنت مضــطرباً وقلقاً جدا ، وكانت النتيجة أن إســراء صـــادقة وتخلت



عني جميلة في منتصـــف الطريق، بعد يومين من هذا اللقاء اتصـــلت علي جميلة وردت بابتسامة عريضة!! ..

- إزيك يا سعيد عامل إيه ؟

- إزيك يا سعيد ؟!!

- أُمال ؟ انت غيرت اسمك ولا إيه ؟!!

- مممم اظاهر إني اتصلت علي رقم غلط ..

- رقم غلط إيه يا ابني أنا جميلة ..

- متأكدة إنك جميلة ؟!

- أيوة أنا جميلة قولي بقي كنت بتكلمني ليه وفين بقالك يومين ؟!

كانت طريقتها سخيفة جدا ومستفزة لدرجة أنني شككت أنها مَنْ تحدثني

-جميلـة انتي فعلا وافقتي علي العريس ؟! ورحتي فين بعـد مـا قلتي الكلمتين دول ؟!

- ممممم بص يا سعيد ممكن تفكر بعقلك شوية ومتفكرش بقلبك ؟!

- تمام كده أنا فهمت انتي عاوزة تقولي إيه سلام ..

- اســتني بس إحنا دلوقتي زمايل وفي نفس الســن وأنت كليتك طويلة وأنا كلها سنتين واتخرج لو استنيتك بعد ما اتخرج هستناك قد إيه ؟!

وهقول لأهلي إيه ؟! لما يسألوني بترفضي العرسان ليه ؟!



- ما احنا متفقين علي كل حاجه وانتي عارفه إني اتفقت مع الناس وهنزل الشغل الأسبوع الجاي عشان أول ما تتخرجي أكون جاهز وأخطبك ، مش ده اللي إحنا متفقين عليه من البداية ؟! ولا إنتي بقيتي تنسي ولا الريالات اللي جاية من السعودية غيرتك ولا حتتين الدهب زغللو عنيكي ؟!

- سعيد لو سمحت حاسب علي كلامك ، أنا اتاكدت إن علاقتنا مش هتكمل وأنت قدامك كتير أوي عشان تبقي جاهز وتقدر تفتح بيت وأنا مقدرش استني كل ده ومش هاقدر اواجه أهلي أكتر من كده ...

-يعني أهلك مش غاصبين عليكي وانتي موافقة من نفسك ومقتنعة بكده ؟!

- بالظبط كده ، محدش غصبني وأنا قررت كده من نفسي ..

صوت جميلة كان مختلفاً ولهجتها كانت جافة في هذه المكالمة لم تكن مثل السابق ، بعد هذه المكالمة قررت الابتعاد عنها وأن أكمل حياتي بشكل طبيعي وأعمل بجانب الدراسة لأحقق ذاتي وأثبت لها في يوم من الأيام أنني كنت صادقا معها وكنت قدر المسؤولية ، الشيء الوحيد الذي لم أخبر به أحداً يا صديقي ولم يشعر به أحد حتي جميلة نفسها لم تشعر به ، رغم حبي لها كنت دائما أحس بشعور غريب لا أستطيع وصفه ،هو أنني كنت أشعر بعدم الاطمئنان من ناحية جميلة فرغم حبي لها وتعلقي بها إلا أنها كانت دائما عنيدة وأنانية وهاتان الصفتان كانتا يجعلاني متخوفاً من تصرفها يوما ما ، لكني لم أستطع منع قلبي من عشقها ولا نفسي من التعلق بها ، أحببتها دون شرط وتجاهلت كل عيوب شخصيتها ، وبالفعل حدث ما كنت أتخوف منه وأعادت جميلة حساباتها واختارت صوت عقلها وتخلت عني ..



- كانت مُخطئة يا صديقي ...

- فعلا هي أساءت التصرف وما حدث بعد ذلك جعلها تبكي وتتحسر علي حالها ..

- أخبرني ماذا حدث بعد ذلك ؟!!

بعد خطبت جميلة اختفيت أنا تماما ولم أرها وعاودتُ الاهتمام بدراستي ،اتجهت إلى العمل بجانب الدراسة وتجاهلت كل محاولاتها لمعرفة أخباري ، حتي أن إسراء حاولت التقرب مني كثيرا ولكني صددتها أكثر من مرة رغم محاولاتها المتكررة ، حتي علاقتي بأصدقائي أصبحت شبه معدومة ، فيومي منحصر في محاضراتي المهمة وعملي الإضافي ..

بدأتُ العمل في إحدى محلات بيع وصيانة الكمبيوتر ، كان المقابل المادي في بداية العمل قليلاً ولكن ذكائي وحبي لعملي جعلني متفوقا فيه وأصبحت مشهورا بين أصحاب المحلات ، بعد عام واحد أصبحت أفضل من يجيد إصلاح الأعطال وازدادت علاقتي قوة بالعاملين في المجال وتجار الأجهزة ..

قبل بداية العالم الثالث من الدراسة قرر صاحب العمل ترك المحل والسفر إلى الخارج وعرض على المحل لكن لم تكن لدي القدرة المالية الكافية ، الرجل كان يحبني كثيرا أعطاني المحل وقال: " إدفع لي ما يمكنك دفعه الآن والباقي يمكنك تسديده علي أقساط "، وافقت علي الفور وفي أقل من عام سددتُ كل مستحقاته وأصبح المحل ملك لي ، في منتصف العام الرابع من الدراسة كان لدي محلان وتضاعف رأس مالي بشكل كبير ، لم أكن أتوقع أن مستواي المادي سيصل إلى هذه



الدرجة في هذه الفترة الوجيزة واتسعت تجارتي وبدأت أستورد الأجهزة وملحقاتها ....

فور انتهائي من السنة الرابعة كانت لدي شقتي الخاصة ، وسيارة وساعدت إخوتي في تكاليف الزواج ...

رغم ما وصلتُ إليه في عامين وابتعادي عن جميلة إلا أن حبي لها كان يزداد كل يوم وطيفها لا يفارقني ، عقلي لا يتوقف عن تذكيري بها وبأيامها الجميلة ، كنت أتمني لو تعود إليَّ، كنتُ علي استعداد أن أسامحها ، فقد أصبحت لدي القدرة على تحقيق حلمي وأن يجمعنا بيت واحد ..

إلى أن جاءني هذا الاتصال ..

رقم غير مسجل علي هاتفي .

- ألو

- سعيد إزيك ؟

خفق قلبي لا إراديا إنه صوت جميلة الذي اشتقت إليه ولم أنسه يوما

- جميلة إزيك ؟

-الحمد لله تمام ، ما انت بقيت بترد علي أرقام غريبه أهو ..

أخبارك إيه ؟!

- أول مرة من سنتين أرد علي رقم غريب إنتي عاملة إيه بعد التخرج؟



- أنا كويســـة ، حبيت بس أطمن عليك وأعزمك علي فرحي بكرة إن شاء الله متتأخرش ..

- ألف مبروك إن شاء الله هاجي ..

أغلقتُ الهاتف ووقفتُ صامتا متأملا ما مر من عمري ،لا أخفي عليك يا صديقي حين سمعت صوتها خفق قلبي وتمنيت أن تخبرني بأن خطبتها لم تكتمل ، أو أنها أنهت خطبتها لمَّا علمت بما وصلت إليه من نجاح مادي ، كنت علي استعداد أن أسامحها وأتغاضى عما حلَّ بي من أذى لنفسي ولكرامتي من أجلها ، لكن ما قالته قسم قلبي وعقلي معا ، كنت متعلقا بأي أمل يعيدها إليَّ مرة أخرى ، ولكن هذه المكالمة أعادتني سنين إلي الوراء ، وكأن عمري قد زاد ألف عام .....

جلس سعيد علي السرير واسترخى فالذكريات موجعة ومؤلمة ..

اقترب عمرو وجلس علي السرير المجاور متحدثا بحنو..

كانت مُخطئةً يا صـــديقي، ليس من حقك أن تندم علي فراقها فهي لم تكن تستحق هذا الحب ، اسمح لي أن أتخطى حدودي ، هي لم تحبك يوما ما ولحسن حظك أنها لم تكن لك ..

لكن ماذا فعلت بعد ذلك ؟! هل حضرت عرسها ؟!

وما هو أول قرار اتخذته بعد هذه المكالمة ؟!

- ذهبتُ إلى عرسها وظللت أتحرك داخل القاعة من بعيد حتى تراني، بعد أن نظرت إليَّ لم أتمالك دموعي وانصرفتُ مسرعا ، وفي اليوم التالي اتخذتُ أغبى قرار في حياتي ..



عمرو : ما هذا القرار ولماذا تعتبره أغبى قرار في حياتك؟!

سعيد : قررت أن أتزوج ..

- إسراء.... ؟!!

لم يجب سعيد علي سؤال عمرو ، ترك السرير وبدأ يتجول داخل العنبر وضع يديه في جيوبه وأمعن نظره في الأرض، يمشي بخطوات بطيئة مستقيمة وكأنه يبحث عن شيء في أرضية العنبر أو يحسب عدد قطع السيراميك، يهز رأسه ويتمتم بكلمات غير مفهومة ، يتابعه عمرو باستغراب هذا القصير النحيف يثير استغرابه دائما "ماذا يفعل ؟! إنه حقا شخص مثير للاهتمام ردود أفعاله غير متوقعه حتى في حياته الطبيعية "..

يحاول الاستماع إلى صوته الخافت ،" هل يغني أم يتحدث إلي نفسه ،بماذا يفكر، ولماذا لم يجب علي سؤالي؟!!"...

ما زال عمرو يتابع خطوات صديقه الضيقة إلي أن رفع رأسه قائلا :" ماذا حدث لروح بعد ذلك ؟" ..

- أخبرني أولا عن قرارك ..

- ما سوف أخبرك به يطول شرحه أكمل لي قصة روح وما حدث بعد أن ضربت الدجال ..

شعر عمرو برغبة صديقه في تغيير مجرى الحديث في اتجاه آخر أو أن مزاجه قد تعكر في هذه الدقائق التي صمت فيها :"حسنا لنعد إلي روح وقصتها العجيبة "..



اســـترخى عمرو مرة أخرى وعـاد بذاكرتـه إلي ذلك اليوم وجلســـته الطويلة مع روح ..

تعجب عمرو مما روته روح، لكن أكثر ما زاده عجبا كيف ترى نفسها على هيئة نمر؟!!..

عمرو : أي نمر؟! ، كيف يظهر وجهك في المرآة بهيئة نمر ؟!

روح : أعرف أنه أمر غريب ولا يُصدق ولكن هذا ما رأيته فعلا !!..

- ماذا حدث بعد ذلك ؟!

- لا أعرف بماذا أخبرك أو من أين أبدأ ، كنت أحمل أشـــياء لا يمكن للرجال حملها ، أحمل أثاث المنزل وأغيِّر أماكنه بمفردي ، لكن الأهم أنني أصـــبحت أرى النمر باســـتمرار، بل وأصـــبحنا أصـــدقاء ، كنت أعرف كل شـــيء عن زوجي وأراه وهو في عمله ، إذا كان قد تسـلم راتبه أم لا، إذا كان أحد ضـايقه في عمله ، أعلم كل شـيء عن مشاكله وأسرار عمله ،حتى أسراره الشخصية التي يخفيها عني ، كذلك أبنائي كنت أراهم وأعلم أين تأخروا وماذا فعلوا بالمدرســـة وعندما يعودون أخبرهم بكل تفاصيل يومهم ..

أخذ عمرو يحملق في روح ...

- أعرف أن مـا أحكيه لك غير طبيعي ولكن ما أقصـــه عليك الآن قد حدث بالفعل وأنت غير مجبر علي أن تصـدقني ،أقسـم لك إنني لسـت مريضة نفسانية ولا أكذب في حرف واحد ..

- أكملي ؟



- زوجي له أخوان توأم تزوجا في يوم واحد وكانا يسكنان معنا في منزل العائلة وكل منهم له شقته الخاصة ولكن في نفس العمارة، منذ اليوم الأول لزواجهم تحول المنزل إلي جحيم ، كان هناك سحر من أجل التفريق بينهم وبين زوجاتهم ، فإحداهن قد سحرت لها زوجة عمها، والأخرى زوجة أخيها كانت تكرهها فعقدت لها أيضا سحراً بعدم التوفيق في الزواج ، الغريب أنني أخبرت زوجي ليلة العرس إن العروسيْن معقود لهن سحر، لكنه سخر مني ولم يصدقني ، بعد انتهاء الزفاف وليلة العرس وفي صباح اليوم التالي ولمدة أسبوع كامل لم يتوقف الصراخ في المنزل والشجار بين العرسان دائم ومستمر، إحداهن أصابت زوجها بجروح كثيرة في جسده ومر أسبوع ولم تتم الدخلة ..

إلي أن أحضر أحد الجيران شيخاً من محافظة أخرى ، قال إنه يعالج السحر والمس بالقرآن ..

كانت الساعة السابعة مساء حين حضر الشيخ ، كان زوجي وإخوته وزوجاتهم مجتمعين في شقة أخيه ، وظللت أنا في شقتي برفقة أبنائي، لاحظت شبحاً صاعداً علي السلم ، أمسك به النمر ومنعه من الصعود ..

جلس الشيخ مرتبكا وبعد دقائق قال للحضور: " أحضروا لي السيدة التي تسكن في الدور الثاني "..

حضر أخو زوجي وطلب مني الصعود فرفضت في البداية ، لكنني صعدت معه بعد إلحاح شديد ..

حينما دخلت عليهم زاد ارتباك الرجل وتوجس خيفة مني ، أخبرني زوجي بعدها أن شكلي كان متغيراً وظهرت بهيئة مختلفة عن هيئتي ،



خاف الشـــيخ وانصــــرف علي الفور وترك المنزل ، في الحقيقة كان ســاحرا ولم يكن يعالج بالقرآن وذلك الشـبح الذي أمسـك به النمر كان رفيقه..

قررت أن أتولى أنا علاجهن، كنت أخبرهن بأشياء ليفعلوها ، أنا نفسي لا أعرفها ولم أجربها، وبالفعل نجحت في فك الســـحر المعقود لهن واستقرت حياتهن ، وحينما تصنعت إحداهن أنها رأت جناً علمتُ أنها تكذب وحذرتُها وأخبرتُ زوجها أنها تكذب....

توقفتْ روح فجأة عن سرد قصتها ..

عمرو : طيلة حياتي لم أرَ شــــخصــــاً مثلك و لكن هل كان جناً واحداً وعلاقتك كانت بهذا النمر فقط ؟!!

روح : لا، لم يكن النمر فقط كـان هنـاك غيره لقد كـانوا أربعـة ولكن النمر أقواهم وأكبرهم سنا ..

تنهدتْ روح وأخرجتْ نفساً عميقاً ، أرهقوني جدا وسببوا لي الأمراض غير أن طلباتهم كانت كثيرة ..

- طلبات مثل ماذا ؟!! أكملي ..

- كانت دائما ملابســي ســوداء ، لا أخرج من شــقتي ، ليس لي علاقة بجيراني وحتي أهل زوجي أصبح اختلاطي بهم قليلاً ، أمروني أيضـا بأن أحزم رأسي دائما برباط أسود ..

الجميع لاحظ ملابســــي الســــوداء وعدم اختلاطي بهم حذروني من سـلوكياتي هذه وأنها قد تتسـبب في تدهور علاقتي بزوجي ، حتي وأنا



في المنزل، لا أرتدي غير الأسود والملابس التي تغطي جسدي بالكامل، فأنا دائما أشعر أن هناك

أشخاصاً آخرين بالمنزل يتطلعون إليَّ ويرونني دائما فأستحي أن أرتدي ملابس خفيفة أو ضيقة ، الاخريين لا يعرفون سبب تصرفاتي ولو أخبرتهم فلن يصدقوني ..

كان الصداع لا يفارق رأسي وقليلا ما أستطيع النوم ، رغم طباعي الهادئة وصوتي المنخفض لم يكن أحد يتحملني في عصبيتي فكنت أتحول تحولاً كاملاً في تصرفاتي وأنهالُ عليهم بالسباب والضرب ، إذا تملكني الغضب كنت أضربهم بأي شيء أجده حتي وإن كان سكيناً ، فأنا لم أعد أستطيع التحكم في تصرفاتي ولا في كلماتي عند الغضب ..

أصبحت أضرب أبنائي باستمرار وإذا طلب زوجي شيئاً مني أتجاهله وأود لو أن أضربه بشيء أو أقتله ، حتي حدث خلاف بيني وبين أهل زوجي وتشاجر زوجي مع إخوته دفاعا عني ، انتابني شعور أنهم أعدائي وسيأذونني ونشب العراك بيني وبينهم لا أعلم ماذا فعلت ولم أدرك ما حدث حتى استفقت في غرفة نومي من إغماء دام لساعتين ، قال لي زوجي :"كدتِ تقتليهم ، العراك لا يكون بحمل اسطوانات الغاز وإشعالها ، الحمد لله أنني استطعت أن أنتزعها من يديك"..

وفي يوم رميت ابنتي بحجر وأصبتها بجرح كبير في رأسها..

بعد عناء قررتُ أن أبحث عن حل فنهاية ما يحدث لي إمّا أن أقتل أحدا وإمّا تكون نهايتي في مستشفى الأمراض العقلية ...



في هذه الفترة كان زوجي يذهب إلى العمل ويعود بعد ساعة أو ساعتين نجلس سويا، نأكل ونتحدث وبعد ذلك يدخل إلي غرفته ليأخذ قسطا من الراحة وبعدها أجده يطرق الباب **!!**..

صرختُ في وجهه : " لماذا تفعل ذلك تريد أن تصيبني بالجنون " وهو يقسم إنه لم يأتِ في الصباح ولم يعد من العمل إلا الآن ..

ظللنا علي هذه الحال من العراك اليومي حتي أخبر زوجي أحد أصدقائه بما يحدث فأخبره بعنوان شيخ كانت عنده حلول كثيرة...

استطردتْ روح ، كان هذا الشيخ شابا في بداية الثلاثينيات ذهبتُ إليه برفقة زوجي وأخيه ، لم يكن كالدجال السابق وكان يعالج حالاته في منزله ، كان لديه حالة ؛ رجل له أخ يعاني المس وكانت جلسة العلاج قد بدأت ، بمجرد أن دخلنا عليهم أصابتني نوبة جنون وانهلت عليهم ضربا ، أربعة رجال يحاولون السيطرة علي دون جدوى ، أبرحتهم ضربا حتى تمكنوا من إيقافي وتطويقي وبدأ الشيخ جلسات العلاج ..

بعد حوالي خمس جلسات قال الشيخ إنه تمكن من طرد الجن ، بعدها استقرت حياتي وأصبحت أكثر هدوءاً والتزاما بالصلاة وقراءة القرآن ، إلى أن جاءت الليلة التي لا تنسى ...

أدارت روح وجهها عن عمرو وأطاحت رأسها إلى الخلف وأغمضت عينيها لتعود بذاكرتها إلى تلك الليلة التي لا تنساها هي وزوجها ..

بعد يوم عادي حلَّ الليل وانتهت روح من أعمال المنزل ونام الأبناء ، دخلتْ إلى غرفة الزوجية لتخلد إلى النوم بجوار زوجها الصبور بعد



حديث دام لســـاعة بينها وبين زوجها أخيرا هدأت الحياة وعادت روح إلى طبيعتها بهدوئها وابتســامتها وخجلها القاتل لعنفوان أي رجل مهما كانت هيبته ، احتضن الرجل الحنون زوجته وأخلدا إلى نوم عميق في غرفة نومهم المتواضـــعة بعش الزوجية الذي أخيرا نعم بالهدوء ، راحت روح في ثبات عميق لساعتين متواصلتين لكن سرعان ما بدأت تتحرك في الفراش ، هناك زائر في المنام ؛ رجل بملابس بيضـــاء ناصعة يناديها ويريد التحدث إليها ، استيقظتْ روح من نومها وتركتْ أحضان زوجها وجلستْ في مكانها تحدثُ الرجل..

الأمر لم يعد حلما!!..

هي فعلا تراه وتكلمه بعد أن استيقظتْ !!..

فزع الزوج من نومه علي صوت زوجته ولكنه ظل صامتا ولم يقاطع حديثها..

اقترب منها وهمس في أذنها : روح ، مع مَنْ تتحدثين؟!!

نظرت إليه باستغراب:ألا ترى الرجل هو أمامك ؟!!

لطم الزوج خده متحسرا علي حاله: ألن ننتهي من هذا الهراء؟!

نظرت روح إلى الزائر :إذا كنتَ حقيقة ولســـت خيالاً اظهر لزوجي واجعله يراك ..

تخلَّى الضيف عن خفائه وظهر للزوج وكأنه نور أبيض يشبه انعكاس ضـــوء المرآة في الشـــمس ، اعتدل الزوج في جلســـته فالأمر لم يعد خيالات فالرجل يقف أمامه ..



الضيف : أنا لم أحضر إلى هنا لأؤذي أحدا ، لقد جئت طالبا للمساعدة..

روح : وكيف نساعدك؟!

الضيف : المساعدة لن تكون منكم المساعدة من الشيخ الذي استطاع علاجك ..

روح : ليس لدينا مانع سنخبر الشيخ بأمرك ..

الضيف : ولكني لست بمفردي معي ثلاثة من أصدقائي ..

روح : لا بأس سوف نساعدكم ولكن بشرط واحد ..

الضيف : أي شرط ؟!

روح : لا تؤذوننا ولا نؤذيكم ..

الضيف : لك ما تطلبين ولكن لي طلب أخير، وهو أن أقيم معكم هنا في منزلكم وأن يكون لي نصيب مما تأكلون وتشربون ..

روح : أهلا بكم ولكن دون أذى ودون ظهور لأبنائي ..

أعادتْ روح النظر إلي عمرو :" الأمر غريب ولا يصدق " أرى الدهشة في عيونك ..

عمرو : أكملي ولا تهتمي بردود أفعالي ..



كان الزائر برفقته ثلاثة آخرين ظل يســكن معنا هو وأحدهم ، الاثنان الآخران رفضــا العيش معنا، كانا مسـلميْن وذهبا إلى العيش بمكة بعد أن حُلت مشكلاتهم

- تخيل أن تشــعر أن أحدا يراك ويرافقك طوال اليوم وفي كل وقت ومكان وهو يراك وأنت لا تراه !!

كنتُ أرتدي ملابس طويلة صيفا وشتاءً ، النمر كان دائما حارس لي وإذا اختلفتُ مع زوجي يظهر له ويهدده بعقاب مرير إذا تشــاجر معي أو أغضــبني ، حذرنا من أشــخاص يريدون أذيتنا وســاعدنا في علاج آخرين حتى أصيب شقيق زوجي بمس شديد واستطعت علاجه بمساعدة الصديق..

أعجب زوجي بالموضـوع وطلب مني أن اسـتخدم الصـديق في العلاج والكسـب المادي، فرفضـت وحين ظهر له الصـديق أعاد زوجي الطلب فكان رده :" لقد اتفقنا علي الأخوة ولم نتفق علي أذية أو مســاعدة أحد أنا فقط ساعدتكم في علاج أخيك"...

لم يتراجع زوجي عن موقفه وفي يوم حدثني أن صــديقاً له من الصـعيد عنده بيت تحته مقبرة فرعونية ، وقد أخبره أن الكنز يحرسـه مجموعة من الجن وطلب مني المساعدة والمقابل المادي ضخم ، وأنه على يقين أنني أسـتطيع فعلها، رفضــتُ بقوة وقلتُ له إنني لا يمكنني فعل ذلك وخطوة مثل هذه تحتاج إلى تنازلات كثيرة كي أستطيع فعلها وأنا لن أقبل ذلك ولا أريده من الأساس ..

في اليوم التالي أعاد زوجي سيرة صـديقه وأنه أخبره أن المنطقة التي يســكنها بها الكثير من الأمـاكن الأثرية وتحتها مقابر فرعونية وأنهم



أحضـروا سـاحراً من المغرب وقد اسـتحضـر الجان ليسـتخرج الدفينة ويعرف منه عهد الجني الحارس ..

قلتُ لزوجي لن يستطيع هذا الساحر استخراج شيء ولن يحضر الجني الحارس ولن يعرف بالعهد المأخوذ عليه ، وبالفعل استمرتْ محاولات الساحر أربعين يوما متواصلين ولم يصل إلى شيء..

"أخبر صديقك أن هذا الساحر محتال وسيحاول سرقتهم"

سـخر زوجي من حديثي ، في اليوم التالي قال لي إن السـاحر بعد أن غادر المكان بيومين اتصـل علي صـديقه وأخبره أنه اسـتحضـر الجن وأحضروا إليه قطعة رخام أثرية من المقبرة وهي التي ستوصلهم إلى الكنز وأنه بحاجه إلى خمسين ألف جنيه ليعرضـها للبيع على أشخاص متخصصين ليصلوا إلى مكان الكنز ..

قلـت لزوجي لا تخبرني عن قصـــة صــــديقك ومقبرتـه مرة أخري وانصـــحـه ألا يدفع اموالا للســـاحر ، لكن الرجل كان قد دفع المبلغ للساحر ولم يستطع الوصل إليه مرة أخرى ..

بعدها عاد زوجي إلى حديثه مرة أخرى: " لقد حدث ما تنبأت بـه ، نريدك أن تساعدينا "

صرختُ في وجه زوجي:ألن تمتنع عن حديثك هذا؟!!..

لن أفعل ما تطلبه مني ولو عرضوا علي ملايين الدنيا ...



بعدها بدأتُ أقلل حديثي عن الجن وحاولتُ أن أقطع علاقتي بهم نهائيا ، لم أعد أســـتطيع النوم لأكثر من ســــاعتين في اليوم، أولادي بدءوا يخافون من صوتي المتغير كل فتره ، من وقت إلى آخر أجد أحد أفراد العائلة يسألني عن شيء ما وكأنني (الخالة نوسة)..

غالبا كنتُ أقول لهم لا أعرف شـيئاً وأحيانا كنتُ اضـطر إلى مسـاعدة مَنْ أصيب بأذى ، فارقتني الضحكة لم أعد أستطيع الضحك ولا حتي تصنع السعادة ،غزا الشيب شعري قبل أن أصل إلى الأربعين ،رأيتُ كوارث وهيئات مرعبة وازدادت الخلافات والمشـــاجرات بيني وبين زوجي،إلى أن فاجأني ابني بســؤال نغَّص عليَّ حياتي وجعلني أعيد التفكير وأقلب حياتي رأسا علي عقب ، كان ما زال طفلا لم يُكمل عامه التاسع ...

توقفتْ روح فجأة ...

عمرو : ماذا قال الولد ؟!!

- ناداني الولد قائلا: " ماما هو انتي لما تموتي مين هيمســك الجماعة ويورثهم ؟!! علميني أكون زيك .."

كانت كلمات الولد صاعقة لي ، لم أتمالك نفسي ولم أستطع التحكم في تصرفاتي ، لم أستطع إجابته علي سؤاله المفاجيء والمفزع !!! ...

حاولت طردهم من المنزل وإبعادهم عن حياتي فسؤال الولد كان مخيفاً ..



بـدأتْ أواني الطهي تختفي من المنزل وأحيـانـا ملابس لي ولزوجي وأبنائي وأحيانا الطعام يختفي ، بعضها كان يظهر مرة أخرى وبعضها لا يعود ..

قاطعها عمرو : وكيف كان تصرفك حينها ؟!!

- أعلنت تمردي ..

- كيف ؟!

- بدأتُ أجلسُ في المنزل بحريتي، خلعتُ الأسـود وفككتُ رأسـي من هذا الرباط اللعين ، اشتريتُ سماعات صوتية كبيرة وبدأتُ أستمعُ إلى الأغاني والموسيقى بصوت مرتفع ، أتراقص على صوت الموسيقى وأغني :" فلتذهبوا جميعا إلى الجحيم "..

كان الشيخ قد أمرني بتحصينات وطقوس يومية لحماية المنزل ، توقفت عن فعلها ولم أعد أنفذها ، وعندما يسألني أبنائي أخبرهم أنه لم يعد هناك جن وأنهم تركوا المنزل ، حتى إذا حاولوا الظهور لي أتجاهلهم وكأنني لا أراهم "حقا ... إحساس التمرد ممتع "

قرروا عقابي وبدءوا يظهرون لأبنائي في شـكل خيالات وتهيؤات ، ضعف بصري ولم أعد أرى مثل السابق ، وأصبح الصداع مزمنا ولا يفارقني ..

توقفتْ روح فجأة بعدما انفعلتْ أثناء حديثها: " أشعر بدوار غريب ، لا أعرف ماذا أحكي لك وماذا يجب عليَّ أن أخفيه "

عمرو : اهدئي وحاولي أن تستعيدي تركيزك ، امنحيني بضع دقائق حتى أحضر لك كوبا من العصير ..



غاب عمرو لدقائق ثم عاد يحمل علبة عصـــير باردة قدمها إليها بابتسامة جعلتْ روحاً تهدأ قليلا وتستفيق من التيه الذي حل بها...

روح : بعد هذا التمرد ذهبنا إلى المصـــيف ورأيت أحدهم وحاول أن يغرقني ، لكني نجوتُ بأعجوبة..

أصيب شقيق زوجي بمس بعد واقعة المصيف ، إحداهن قد عقدت له سحراً ، كان كلما يرآني يريد ضربي، طلب مني المساعدة ، وبالفعل تمكنتُ من علاجه ولكنه لم يعد يخرج من المنزل ولا يذهب إلي عمله ، الغريب أن أهل زوجي يؤمنون بالسـحر ، زوجي يريد أن أسـتخدم الجن في الكسب وجني المال ويزيد إلحاحه وأنا أرفض بشكل قاطع ، حتي أدرك أن الأمر مسـتحيل وأنني لن أفعل ذلك ، بدأ يحذرني من التعامل معهم وأنني حتما سيطولني أذى منهم ، وكلما أصابه مرض أو ضـيق يقول: " أنتِ مَنْ تسـلطيهنم علي ليمرضـوني "، ازدادت المشكلات والخلافات بيني وبين زوجي ...

توقفتْ روح عن الكلام مرة أخرى...

عمرو : هل انتهيتِ ؟!

روح : أنا مرتبكة ولا أعلم من أين أبدأ والتفاصـيل والأحداث كثيرة جدا، أكثر من ثلاثين عاما من الصراع بيني وبينهم ..

- أكملي ..

- لا يمكنني أن أبقى هنا أكثر من ذلك وأعدك إن كانت هناك فرصـة سيكون لنا لقاء آخر ..



- أرجوكِ لا بد أن تأتي إلى هنا مرة أخرى ..

- يبدو أن القصة أعجبتك ، أعدك أن أزورك يوما ما ..

- سأنتظرك ..

- لا تتعشم كثيرا ولكني أعدك بلقاء آخر ..

ابتسمتْ روح وانصرفتْ مسرعة ..

أعاد عمرو النظر إلى سعيد متنهدا : روح من أكثر الشخصيات التي أثارت فضولي ..

سعيد : كيف كان تشخيصك لحالة روح ؟!!

عمرو : صدقني إلى الآن ليس لدي تشخيص لحالتها ولا يمكنني أن أخبر أيا من زملائي بقصتها وفاءً لعهدي معها..

- هل عادتْ مرة أخري ؟!!

- أخبرني عن قرارك الأحمق ..

- أخبرني أنت عن روح ..

- لن أخبرك بشيء إلا بعد أن تقص علي ما فعلتَ بعد أن تزوجتْ جميلة ، هل تزوجت بإسراء ؟!!

وقف سعيد في مكانه صامتا وضع يده اليمنى في جيبه وأمسك بيسراه سيجارته ، استنشق نفساً عميقاً من دخانها ونفثه بقوة ..



- لا أخفي عليك إنني فكرتُ أن أتزوج إسراء ولكن القرار كان صعباً جدا...

- لماذا كان صعباً ؟! لما لا تتزوجها فهي تحبك ؟!

- لم يكن الأمر بهذه البساطة يا صديقي ، رغم أن إسراء كانت تتمنى ذلك ، حتى لو كانت على يقين أنني سأتزوجها انتقاما من جميلة كانت ستوافق.....

- إذا القرار الغبي الذي تقصده أنك لم تتزوج إسراء ..

- خانك ذكاؤك هذه المرة ، سأخبرك فيما بعد لماذا لم أتزوجها دعني أخبرك ماذا فعلتُ بعد زواج جميلة بأقل من شهر..

قررتُ أن أتزوج أية فتاة لكي أثبتَ لجميلة أنها أساءت الاختيار وأنني كنت رجلا قدر المسؤولية ولا بد أن أتزوج في نفس العام الذي تزوجت هي فيه، لجأتُ إلى الزواج التقليدي فأنا في تلك الفترة (عريس لقطة)...

شاب لم يكمل عامه الثالث والعشرين، يدرس في كلية قمة، لديه عمله الخاص، يمتلك شقة بحيٍ راقٍ ولديه سيارة .

في أقل من شهر بعد البحث الدؤوب من الوالدة كانت العروس موجودة ..

فتاة في عامها العشرين من أسرة متوسطة، أبوان متعلمان ، أسرة محافظة ...

قررتُ أن أخطبها وكان شرطي الوحيد أن يكون الزواج في نهاية العام ..

بدأتْ خطبتنا بالكثير من الشجار، لم نكن متفاهميْن ولا أعلم لماذا رغم اختلافنا كان كلٌ منا متمسك بالآخر ..

مر ثلاثة شـهور على خطبتنا وما زال الشـجار دائراً شـعرتُ أن هذه الفتاة بحاجة إلى مزيد من الصـبر وأنها تعاني من مشـكلات نفسـانية ويجب عليَّ تحملها وأن أعاملها بطريقة أفضـل لأنال حبها وشـغفها وظللتُ أجاهد نفسي كي أتحملها ...

ذات يوم جاءني اتصال من رقم غير مسجل على هاتفي ..

ألو ..

ألو.. سعيد ؟!!

هذا الصوت أعرفه جيدا ، الصوت لم أسمعه بأذني إنه مر إلى أعماق قلبي وتسـبب في حاله من الهياج العصـبي لكل نقطه في جسـدي لا إراديا ...

- أيوه ، أنا سعيد مين حضرتك ؟!!

تعمدتُ أن أتجاهل صـوتها، فلو أنها ما زالت بمكان ما بقلبي فقد أصبحت في عصمة رجل آخر ..

-مين حضرتي ؟ للدرجادي نسيتني ..



- عاوزة إيه يا جميلة ؟!

- طب ما أنت لسه عارف صوتي أهو ..

- طبعا عارف صوتك انتي عشرة عمر ..

عشرة عمر .. صح كلامك ..

تعمدتُ أن أكون جافا معها فليس من حقي أن أحدثها لكني شعرتُ بدموعها التي زرفتْ من عينيها، أعرفها جيدا حين تبكي بدون ضجيج ..

- سعيد ، أنا بس بكلمك عشان أقولك كلمة واحدة ...

- خير يا جميلة ؟!!

- عاوزة أقولك أنا آسفة ..

حين نطقتْ جميلة بهذه الكلمات كان لدي الكثير لأقوله، لكن العتاب لن يجدي نفعا فكلٌ منا سلك طريقا غير الآخر ..

-بتتأسفي علي إيه ؟!

- أنت عارف أنا بتأسف علي إيه ، بتأسف إني بعتك واتخليت عنك يا ريتني سمعت كلام قلبي ..

- كنتُ أفكر في أن أرد لها الصاع صاعين بل وعشرة ، علي ماذا تتأسفين علي خمسة أعوام ؟!!،أم علي جرح لم ولن يندمل، أم على وهم عشتُ به معك أضاع عليَّ فرصة استمتاعي بأجمل سنين



عمري!!، كل هذا كان يعصـــف بقلبي فمنذ قرارها الذي مضـــى عليه سنوات عجاف وأنا أتألم والألم ينحت في جسدي ..

لكن دموعها كانت كسهام تخترق قلبي بلا شفقة ولا رحمة ، لم أستطع الاســـتمرار في تصـــنعي للجفاء ، ولكن ما باليد حيلة ماذا يمكنني أن أفعل من أجلها ..

- جميلة احنا خلاص كل واحد فينا بقى في طريق مختلف، عيشـــي حياتك واستمتعي بيها ..

- سعيد هو أنت فعلا خطبت ؟!

- أيوة خطبت من فترة ..

- ألف مبروك ، بتحبها ؟!

- جميلة إنتي بتكلميني ليه ؟!

- بكلمك عشـان أقولك ألف مبروك وربنا يخليهالك ويسـعدكم يارب .. سلام يا سعيد ..

كان ردي قاسيا عليها ولكن لم أكن أتعمد إهانتها حتي وإن أخطأت في حقي كثيرا وتسـببت في ألم مسـتديم يقهرني كل ليلة ، إلا أن لها بقلبي مكاناً لم يستطع أحد انتزاعه منها أو احتلاله بدلا منها أو حتي الاقتراب منه ..

عمرو : إحساس مؤلم جدا أن تندم على قرار خاطئ يصل بك إلى هذه النتيجة ، إنها قرارات مصـــيرية لا أعرف كيف نتخذها بهذه العجرفة



والتسرع ، ولكن اسمح لي يا صديقي ، هي لا تستحق هذه المكانة بقلبك ، كان لديها عامان خطبة وأنت كنت تتقدم وتسير بخطىً صحيحة ولو كانت تحبك كان بإمكانها مراجعة حساباتها قبل فوات الأوان ...

أرى أن الدموع في هذه المكالمة كانت دموع التماسيح أو أنها تبكي لأن لديها حب التملك ، فهي كانت تحب تملكك وتريد أن تراك تتعذب باستمرار على فقدانها ، حتي بعد أن تزوجت تريد أن يكون لها مكان بالأحداث في حياتك وتعرف إذا كنتَ ما زلتَ تحبها أم لا، تريد أن تعكر عليك صفو حياتك وأن تكون موجودة دائما ولا يغيب ذكرها...

نظر سعيد إلى عمرو بدهشة : تحليلك للموقف قاسي جدا ..

عمرو : سعيد، لا تتهرب أنت أذكى مني بمراحل وتعرف أنني محق في كل حرف نطقتُ به ..

اتجه سعيد نحو النافذة واستند إلى حافتها بساعديه ، ضم كفية وأسند ذقنه إليهما ،وشرد بذهنه متأملاً الفضاء وراح يتذكر تلك الأيام التي ما زال يعيش فيها كل ليلة ، ما إن وضع رأسه على وسادته إلا وزارته أحلام اليقظة التي يرسمها ويصوغ أحداثها بنفسه وكما يريد وينهيها كل ليلة بزواجه من جميلة ...

بدأ يفكر في كلمات عمرو ، هل أعطيتها أكثر مما تستحق؟!! هل أحبتني أم أحبت حبي لها؟ !!..

أم أن عَمْرًا محقٌ وهي كانت تحب أن تتملكني ؟!!!

ما زال عمرو يتابع سعيداً بشغف فدائما ما يقوم بأفعال مثيرة للاهتمام ، بماذا تفكر يا صديقي ؟؟



- عاد ســـعيد من رحلته القصـــيرة والمتكررة ، ناظراإلى عمرو وهو يعض علي شفتيه ويطيح برأسه إلى الخلف ليطالع سقف العنبر: " من الممكن أن يكون تحليك صحيحاً ولكنه ليس دقيقاً بما يكفي "

- إذا أخبرني أنت بما انتهيت إليه بعد شرودك هذا ؟؟

- لنترك جميلة قليلا ونذهب الي ما هو أسوأ..

استمرت خطبتني لسعاد عاماً كاملاً من الشجار وعدم التفاهم ، لم أشعر يوما أنني سعيد معها رغم كل محاولاتي لإسعادها ، لك أن تتخيل أنا سعيد وهي سعاد ونحن الاثنان غير سعداء ..

انهار عمرو من الضحك وكاد يسقط على الأرض ، احتضن صديقه بقوة وراحا يقهقهان بصوتٍ عالٍ رجَّ أنحاء العنبر فكلاهما يشتاق إلى ضحكة من القلب تهز بعض الأوجاع المتراكمة ..

استطرد سعيد : لا أعرف لماذا كنت صابرا عليها وعلى أسلوبها الجاف في التعامل معي وافتعالها للمشـــاكل فكما تراني هادئاً ولا أثير المشكلات ولا أحب أن أقحم نفسي داخل أية مشكلة ..

- سعيد، أنت هادئ ولكنك علي النقيض تماما عصبي جدا ..

- من الممكن أن أكون عصبياً ولكني أعرف كيف أتمالك نفسي.

- ربما تكون محقاً !!..

- المهم ، التفاهم لم يعرف لنا طريقاً واقتربت سنة الخطبة من الانتهاء، لم أشعر بسعادة حتى وأنا أشتري لها فستان الزفاف كانت تتصنع الفرحة وكذلك أنا وكلانا ليس سعيداً!!.



تزوجنا وبدأنا حياتنا سويا، بعد شهر واحد من الزواج طلقتها....

- طلقتها بعد شهر ؟!!!

- صـــدقني ياعمرو، لم أحبها يوما واحدا وتزوجتها إرضـــاءً لأمي ولشـعوري أنها تحتاج إلى المسـاعدة والاحتواء، لم يكن بها أية صـفة مما تمنيتها،لا في جمالها ولا شـخصـيتها، كنت أعاملها أفضـل معاملة ،كنت أريد أن أكرث حياتي لإسعادها متجاهلا نفسي ولكنها لم تعِ ذلك جيدا ، نشب الخلاف بيننا بعد الزواج مباشرة ، فوجئت بأسرارنا تسرد بكل تفاصيلها إلى أبيها وأمها لم يعد لبيتي سر ، حاولت أن أوضح لها خطأها ،وأن لبيت الزوجية أســرار ولكن لا حياة لمن تنادي ، ذهبتُ إلى أبيها وأخبرته بما تفعله فكان رده :" إذا كانت بنتي مش عجباك بيت أبوها موجود " ...

كان رجلاً أرعناً مخبولاً كان حديثي معه يشــبه حديثي مع النســاء ، ذهبتُ إلى أمها لأشــتكي ما تفعله ابنتها من افتعال للمشــكلات ، فأنا أعيش في نكد يكفي لإتعاس تسـعين مليون مصــري ، لا أعلم من أين لها بهذه القدرة على افتعال المشـاكل وتعكير صـفو أي مكان تتواجد به ، أدركت أنني أسأت الاختيار ولا بد أن أتدارك الأمر مبكرا وطلقتها ..

مكثت في بيت أبيها لمدة أســبوعين ومحاولات الأهل من الطرفين مستمرة لإعادة الأمور إلى طبيعتها ، لكنني ما زلت مصرا علي موقفي ولا أريدها أن تعود ..

لم أكن أريدها فأنا لم أشـعر بسـعادة معها ولسـنا متفاهميْن، حياتنا ســتكون جحيمـاً دائمـاً، فكلانـا لا يســتطيع تقبـل الآخر والعيش معه،الانفصـــال المبكر مفيد لي ولها قبل أن يكون هناك أطفال وتتفاقم المشكلة ..

- لماذا لم تحاول تغييرها أو تصنع شيئا من أجلها يجعلها تعيد تفكيرها وتتغير من أجلك ؟!!

- كل هذا فعلته يا صديقي ، لكن أن يتغير إنسان من أجلك هذا وهم، فلا أحد يغيِّر من نفسه من أجل الآخرين، لا أخفي عليك شعرت كثيرا أنها تحبني، لكن عشقها للنكد والبكاء كان أقوى من حبها لي، فالطبع يا صديقي يخرج بعد الروح ..

- وماذا حدث بعد ذلك ؟؟

- حدث ما كنت دائما أخشاه ...

بعد محاولات من أمي وإخوتي عقد الصلح عادت سعاد إلي المنزل لنستكمل مسيرتنا التي لم تستمر طويلا ..

بعد عودتها دار بيننا حديث، سأختصر لك ما حدث وما اتفقنا عليه وما أسفرت عنها المحادثات المطولة ..

كان حديثي معها بكل هدوء وسؤالي البرئ : لماذا أنت سيئة الظن بالناس إلى هذا الحد ؟!!

- أنا لا أسيئ الظن بأحد ..

- لماذا النكد والبكاء وافتعال المشكلات ؟!

- أنا لا أحب المشاكل ولا أحب النكد ..

كانت كل ردودها بهذه الطريقة ، أسألها عن شيء تحذف أداة الاستفهام وتعطيني الجملة الخبرية كانت ضليعة في قواعد النحو علي عكسي تماما !!..



ضحك عمرو بشدة وهو يتأمل تعبيرات وجه سعيد الساخرة رغم ما به من ألم..

-صدقني الضحكة هذه كانت من القلب، منذ سنوات لم تخرج ضحكة من قلبي إلا معك ..

- عليك دائما أن تبتسم ، فالابتسامة حياة، لكني لم أكن أقصد أن أضحكك ولكن دائما شر البلية ما يضحك ..

- أخبرني إذن ما هي نقاط الوفاق والشقاق بينكما ؟

- كانت هناك نقطة التقاء واحدة تجعلني دائما أتحملها وهي أنها كانت تحبني ، هي لم تقل لي إنها تحبني فكبرياؤها يمنعها من ذلك ،هل رأيت زوجة تتكبر علي أن تبوح لزوجها بالحب ؟!!

لم أطلب منها أن تقول لي كلمات تعبر عن الحب،لكني من المؤكد طلبت منها معطيات تثبت هذا الحب، أريد حياة هادئة فأنا رجل أحب الاستمتاع بوقتي ولا أحب الضجيج والتفاهات، لكن صوتها العالي دائما كان يثير غضبي، تكبرها وغرورها غير المبررَيْن كانا يثيران كل ما بي من غباء....

-هل سألتْك عن تجاربك السابقة ؟!!

-بالتأكيد سألتني ولكني لم أخبرها بشيء وقلت لها إن الماضي قد مر وعفا عليه الزمان ولديك الحاضر والمستقبل ، فلم تهتم هي بهذا الموضوع بعد ذلك ..



- هل كنت تسيء التعامل معها ولم تنسَ جميلة ؟!

- بالعكس ، كنت أعاملها معاملة الأميرات ولم أسيء إليها أبدا ، كنت أتعامل معها بكل الحب والمودة ولم أقصر في تدليلها ولكن هي أساءت فهمي،حَسبتْ طيبتي وصبري عليها ضعفاً ، وبدأت تفتعل تلك المشكلات أملا منها في أن تكون هي المتحكمة في كل الأمور، سواء مادية أو حتي أدوارنا في المنزل، باختصار أرادت أن تقوم هي بدور الزوج وأن تكون هي رجل البيت ..

لم يسعفها ذكاؤها في أن تفهمني ،وأن تعي طيبتي وحناني معها لأني رجل أحترمها فقط ولست ضعيفا كي تمطتيني، نسيتْ أنني في النهاية رجل شرقي !!..

ما أغضبني منها أكثر،إساءتها في التعامل مع أهلي وبالأخص أمي وسوء استقبالها لهم دائما ، عشقها للمال كان طاغيا، فهي تريد أن أعطيها كل ما أتحصل عليه من أموال حتي وإن لم تفعل به شيئاً، المهم أن تكون الأموال تحت تصرفها دائما ولا أعطي لأمي أو إخوتي شيئاً منه ولا حتى أن أهدي أخواتي البنات شيئاً ..

قطع عمرو حديث سعيد ..

- شخصية عجيبة جدا يا صديقي !!

- هل لديك تحليل نفساني لهذه الشخصية ؟

- أنت الذي تمتلك التحليل السليم ..

هي أساءت فهمك فهي لم تتعود على الطيبة والحنان في التعامل، وحين رأتهما منك حسبتهم ضعف لذلك قررت أن تتعامل معك بتسلط ..



ولكنها لم تعِ أنها تريد أن تكون متسلطة مع شخص أساسا متسلط ،تريد أن تتعامل بكبر مع شخص متكبر..

أن تقود علاقة مع شـــخص يســـتطيع قيادة دوله واســـتخدمتْ ذكائها بطريقة خاطئة مع شخص عبقري ...

ضحك سعيد مقاطعا عمرو : أنت تريد أن تسبني أم تمدحني ؟! تصمني بالمتكبر والمتسلط ثم تصفني بالقيادة والعبقرية !!..

لا بأس ، أكمل ....

عمرو : فلتعتبره تحليلاً بسيطاً لشخصيتك ...

- أكمل ما تريد أن تقوله ..

-بل أكمل أنت يكفي ما وصـــمتك به ، أخشـــى أن أكمل فتنهال علي ضربا ، نكتفي بهذا القدر ..

تابع سعيد حديثه مبتسما : باختصـار يا صديقي أنا كنت أعاشـر سيدة ترى نفسها هي الأجمل في العالم وهي الأذكى وهي الأكثر أناقة ، ترى كل الناس صـــغار أمامها وأنه لا يضـــاهيها أحد في الجمال والأناقة ، يتملكها الغرور والكبر فلا تري نفسها أبدا مخطئة..

ترى دائما الآخرين أغبياء،وأنهم دائما مُخطئون وهي التي لا تخطئ ، استمرتْ محاولاتي لإقناعها بالتغيير ولكن دون جدوى،إلي أن جاءتني في يوم مع والدتها مبتسمه :"سعيد.... أنا حامل " ..



صـــدقني كنتُ أحلم بهذه اللحظة طيلة حياتي وحين أخبرتني هي بهذا الخبر لم أشـعر بسـعادة وظللتُ ناظرا إليها وأحدِّث نفسـي :" هي حامل ؟!!، هل ستظل هذه المرأة رفيقتي إلى الأبد ؟!! "

عمرو مقاطعا : كيف يأتيك خبر مثل هذا ولا تفرح ؟!!

- لا أعرف يا صديقي ولكني في الحقيقة ورغم مفاجأة الخبر لم أشـعر بسـعادة ولم أسـتطع حتي تصـنع الفرحة أو التظاهر بالسـعادة حتي أنها لاحظت ذلك ..

- كيف ذلك يا ســـعيد ، إلى هذه الدرجة لم يكن هناك أية مشـــاعر معها ؟!!

هذا مـا حدث وأنـا أمـامـك يمكنـك أن تمـارس مهنتك كطبيب وتبدأ في علاجي إذا كانت هناك مشكلة نفسانية !

- شخص بمثل ذكائك من الصعب أن يصاب بمشكلة نفسانية ..

المهم إنني لم أُبدِ أية فرحة غير أني هنأتها بالخبر الســـعيد، اســـتمر حملها مستقرا إلى أن وضعتْ طفلنا الأول ، لكن هذه المرة كانت الدنيا لا تسعني من الفرحة ، فهو شعور جميل أن ترى الله يرزقك بطفل ..

اتفقنا على أن نهدئ الأمور فيما بيننا من أجل طفلنا وبالفعل اســـتقرت الحياة لبضـــعة شـــهور ، اعتقدتُ أنها قد تغيرتْ وأدركتْ المســـؤولية وقيمـة الحياة الزوجية لكن اعتقادي لم يكن في محله ، فقد كان هدوؤها فترة نقاهة بعد الوضـــع ليس أكثر ، وعادت ريمة لعاداتها القديمة ، بل وازدادت سـوءاً ، فقد ثبّتت أقدامها وأصـبح لديها طفل وتريد أن تؤمّن مستقبله علي حد زعمها، تريد أن تسطو على كل شيء أملكه، أصبح



لديها دوافع للاقتناص يا صديقي ، في النهاية لم أتحمل العيش مع هذه الشخصية ولم أجد حلاً سوى الانفصال ...

- كان عليك أن تصبر أكثر ..

- صدقني حاولت كثيرا لكني فقدت الأمل ، هي لا تريد أن تتغير ولا حتى أن تتخلى عن أحقادها تجاه الآخرين ولا أن تتنازل عن تكبرها وتحسن الظن بالناس ، لم تعترف يوما بخطئها ولو لمرة واحدة ، لم أستطع تحملها فقد بدأتُ فعلا أتأثر نفسانيا من التعامل معها وأصبحت أتعامل مع الناس بتكبر وعجرفة مثلها ، قررتُ أن أشتري نفسي وأن أتخلص من هذه الحياة البائسة التي كادت تقضي على عمري ..

أحسَّ عمرو انفعال صديقه الذي أدار وجهه عنه وبدأ صوته

يرتفع وقف مسرعا نحوه وأمسك بكتفه ، ثم مدَّ يده حاملا علبة السجائر ..

سحب سعيد سيجارته بأيادٍ مرتعشة من أثر الانفعال أشعلها له عمرو وأمسك بيده واتجه نحو النافذة ، انظر إلى هذا المنظر الجميل الخضرة رائعة أليس كذلك ؟

نظر إليه سعيد: عن أية خضرة تتحدث ؟!

عمرو : ماذا أفعل ؟!، لأول مرة تنفعل إلى هذه الدرجة فحاولتُ أن أغيِّر مجرى الحديث فلم أجد طريقة أخرى !

- أنت صديق جيد ،وأنا بالفعل أحببتك وأشكر الله أن جاء بي إلى هنا كي ألتقي بك ..



عمرو : فلنترك تلك المجاملات ونعود مرة أخرى إلى جميلة ،

لديَّ سـؤال لم أنسـه ومنتظرك حتى تنتهي من قصـة زواجك لأعيده عليك ..

- ما هو ..

- لماذا لم تتزوج إسراء ؟!!

- لديك إصرار رهيب لتعرف لماذا لم أتزوج إسراء ..

أعرني انتباهك واحضر لنا فنجان قهوة آخر وأعطني كل ما تملك من تركيز فالأمر شائك جدا وأحتاج منك تفكيراً عميقاً ولا أريدك أن تشرد مني ..

انطلق عمرو بحماس شديد نحو باب العنبر ونادى علي صديقه العامل ليطلب منه مزيدا من القهوة ثم عاد الي العنبر ..

القهوة ستكون جاهزة خلال ثوان ، هيا بنا إلي إسراء ...

سعيد : بعد خطبة جميلة كانت محاولات إسراء في التقرب مني كثيرة ومتكررة ولكني ابتعدت كثيرا لأن الأمر كان مستحيلاً ليس لأن إسراء فتاة سيئة ولكن لسبب آخر أقوى بكثير ..

قلتُ لك مسبقا إنني اعتزلت كل أصدقائي ، لم أكن أتواصل مع أحد من أصدقائي وأنهك نفسي في الدراسة والعمل ، كنت علي يقين أن إسراء كانت تنتظر انفصالي عن جميلة وعلي يقين أيضا أننا لن نكمل طريقنا ، أعتقد أنها كانت أعلم بخفايا صديقتها أكثر مني ..



أول من لاحظ غيابي كان صـديقي المفضـل عبد العزيز، لم يسـتطع الوصـول إليَّ عبر الهاتف ولكني فوجئت به على باب غرفتي بالمنزل ، دفع الباب دون اسـتئذان ووقف ناظرا إليَّ بابتسـامته الدائمة :" ماذا حدث يا صـديقي وكيف تكون مهموماً أو في محنة ولا تكلمني ، هذا خطأ كبير في حقي ولكني سأتغاضى عنه مؤقتا "..

اسـتمع عبد العزيز إلى كل التفاصـيل وحاول أن يصـل إلى حل لكنه فشل ، غير أنه عنفني بقوة وكان مصرا على أنها لا تستحق هذا الحب ، بعد أن أخرجني عبد العزيز مما حلَّ بي من غم سألني :" ماذا ستفعل وكيف سـتكون الأيام القادمة "، أخبرته عن العمل الجديد بجانب الدراسة ، رغم قربي منه وارتباطنا القوي ببعض كنت أشعر دائما أنه يريد أن يخبرني بشيء ما وانه يكتم بداخله شيئا ما لكنه لم يخبرني ولم أطلب منه البوح ...

انتظرته حتي يعترف هو بنفسـه ، في هذه الجلسـة سـألني عن إسـراء وأخبارها وكيف كان موقفها مما حدث ، وكان ردي أنني لا أعرف عنها ولا عن جميلة شيئاً ...

بعد أن اشتريت المحل طلبت من عبد العزيز العمل معي وأن يشاركني إدارة المحلات فأنا لا أرى أفضل منه أحمِّله الأمانة وأنا مطمئن فوافق على الفور ، بعد فترة من عملنا سويا بدأ سؤاله يتكرر عن صديقاتنا من المرحلة الثانوية ويفاجأ أنني لست على اتصال مع أي منهن ، كان سؤالي عمن تريد أن تسأل وأنا سوف أعرف لك كل شيء عنها ؟!

بكل براءة كان رده ، إسراء ..



- أنت تمزج ؟ كيف لا تعرف أخبار إسـراء ألا تتواصـل معها ؟! ولا تراها ؟! أنتم أصدقاء وكان بينكم ضحك ومزاح دائم !!

- منذ بداية الدراسة الجامعية وأنا لم أرها ولا أعرف عنها شيئاً ..

- ستجعلني أتخلى عن تحفظي ، لكن إذا كان من أجلك يا صـديقي فلا بأس سوف آتيك بكل أخبارها ، ولكن لماذا إسراء بالتحديد ؟!!

ارتبك عبد العزيز ، لأول مرة أراه يرتبك

- لا شيء أريد أن أطمئن عليها فقط ..

لم أتمالك نفسي من الضحك وقلت له سوف أطمئنك ..

اتصلت علي إسراء في الحال بحجة أنني أسأل عن جميلة..

- ألو ...

- ألو سعيد ازيك ؟..

- الحمد لله إنتي فين يا بنتي ؟..

- أنا اللي فين برده ؟! ولا انت اللي هان عليك العيش والملح..

- أنا موجود والله بس مشغول جدا معلش أنا مقصر ..

- لا عـادي ، مـا هو طـالمـا مفيش جميلـة يبقي مش هتســـأل علي إسراء ...

- متقوليش كده يا بنتي دا انتي أختي ..



- أختك مممم طب يا خويا أنت متصل ليه؟!...

- عادي بطمن عليكي أخبارك إيه وأخبار صحبتك؟..

- صحبتي مين ، جميلة تقصد ؟!..

- أيوة هو انتي عندك أصحاب غيرها ؟!..

- هو انت متعرفش إن أنا وجميلة مبقيناش أصحاب ؟!!..

- ليه كده ؟!!..

- بسببك ..

- بسببي أنا، ليه ؟؟!!..

لم أكن أعلم بالشجار الذي حدث بين إسراء وجميلة بعد أن وافقت جميلة على العريس ، كان رد إسـراء قوياً جدا عليها واتهمتها بالخيانة والندالة ، دافعتْ إسـراء عني بقوة لدرجة وصـلت إلى السـباب و القطيعة ..

- يعني انت متعرفش إن أنا قاطعت جميلة عشانك؟!..

- ليه طيب دا انتو أصحاب بقالكو زمن ليه عملتي كده ؟!..

- عشـان هي بني آدمة قليلة الأصـل ومعندهاش ضـمير واختارت الطريق السـهل وباعتك رغم حبك ليها واللي أنت عملته عشـانها وأنا متأكده إنك أحسن منها وربنا هيعوضك ..

كلمات إســـراء كانت تحمل الكثير من المعاني لماذا دافعتْ عني بهذه الحدة، تقاطع صديقةعمرها من أجلي! ، حينها شعرتُ بحبها ولكن ماذا أفعل مع الصـــديق الذي طلب الاطمئنان عليها ؟ ، غير أن بعد هذه المكالمة أصبحت الفرصة متاحة لإسراء بالتحدث إليَّ بعد ذلك وبالفعل أصبح بيننا مجال للحديث ، كيف أتجاهلها بعد كل ما فعلته من أجلي ..

عمرو : تقصد أن عبد العزيز كان يحبها في صمت وهي كانت تحبك في صـمت وعندما ابتعدت أنت تخلتْ هي عن صـديقتها وقاطعتها من أجلك ، بعد أن تقاطع هي جميلة لن يعاتبها أحد إن ارتبطت بك ،ولن تجد من يلومها على ذلك حاولتْ التقرب وأنت ابتعدتْ ، والآن أنتَ مَنْ فتحتَ مجالاً للحديث ، كنتَ تريدُ أن تُريح قلب صـــديقك وتقرّبه من إسراء التي أحبها بصمت ، ثم تفاجأت أنت بحب إسراء ..

هذا ما حدث باختصار ..

- فعلا ، أنت لخصت القصة بالكامل في هذه الكلمات ..

- ازداد الأمر تعقيدا (أنت قليل البخت يا صاحبي)

أكمل ماذا حدث بعد هذه المكالمة ؟

قطع حديثهما أصـــابع عطيه الذي يطرق باب العنبر بقوة مناديا :"دكتورعمرو... دكتور عمرو "..



اتجه عمرو نحو الباب ..

فتح باب العنبر ليواجه ابتسامة العم عطية الذي يمدُّ يده حاملا صينية عليها فناجين القهوة ، أخذ عمرو الصينية ونظر إليه مبتسما :"شكرا .."

وضع عطية يديه في جيوبه ونظر إلى عمرو باستخفاف وانصرف ....

أغلق عمرو باب العنبر بقوة وعاد إلى سعيد محدثا : هذا الرجل السمين يمتلك من السخافة ما لم يمتلكه أحد على هذا الكوكب علي مر العصور، ضحكته سمجة ومستفزة لا أعرف كيف يمكنه استفزازي إلى هذا الحد (راجل غتت قعدته وسط المجانين لحست دماغه)..

سعيد : لماذا يستفزك الرجل ؟ ، من المؤكد أنك ترهقه بطلباتك الكثيرة ..

-لا ،هو رجل سمج كل من بالمستشفى يعرفون ذلك لست أنا فقط ، لنعد إلى حديثنا أكمل ..

- كانت هذه المكالمة بمثابة طاقة النور لإسراء فقد أصبح لديها فرصة للحديث معي ، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل ؟؟

إن صددتها سأكون قاسيا معها فهي فعلت من أجلي الكثير فقد دافعتْ عني وقاطعتْ صديقتها من أجلي وإذا تحدثتُ معها وأصبح بيننا مجال للحديث سأكون أنا خائن لصديقي الذي تبين لي أنه يحبها ، بل وطلب مني أن أتوسط بينهما وأقربهما من بعض ، أصبحتُ بين شقيّ الرحى ما بين صديقي وحب إسراء..



هي تنتظر أن أفتح قلبي لها وعبد العزيز ينتظر أن أصل ما قُطع بينهما وما يخفيه في قلبه ولا يستطيع البوح به ، إذا كنت أنت في نفس موقفي ماذا ستفعل ؟!

عمرو : الموقف صعب ، لكني كنت سأحاول أن أقربهما ببعض ..

سعيد : كيف ستقربهما من بعض ؟!

عمرو : كنت سـأفتح لعبد العزيز الطريق ليتحدث إليها وأخبرها بأننا نعمل سويا وأنه يريد الاطمئنان عليها ويعود الحديث بينهما ،ومن هنا يبدأ عبد العزيز مهمته ويبوح لها بحبه ..

-وماذا ستفعل إذا طلبت هي من عبد العزيز أن يخبرني بحبها لي؟! ...

صمتَ عمرو وبدأ يحك رأسه : إذا حدث ذلك ستكون خسارتك أكبر ومن الممكن أن تخسر صديقك وإسراء معا!!

- أصبت الرأي هذه المرة ، كل هذه الأفكار كانت تدور برأسي، لكن ما فعلته كان قاسيا ولكن لم يكن لدي خيار آخر ...

- ماذا فعلت ؟!

- ما حدث أن إسراء بدأتْ تتصل بي بشكل يومي وأخبرتها أن عبد العزيز يعمل معي وبدأ يتحدثُ معها من حين إلى آخر لكن علي استحياء رغم أن المزاح والضحك قد عاد بينهما كما السابق ولكنه غير قادر علي البوح وهي غير قادرة على طلب الوساطة منه، إلي أن تحدثتُ معها وشعرتُ أنها تنوي أن تعترف بحبها في هذه المكالمة ..



حاولتُ أن أســـتخدم فطنتي قبل أن تعترف هي ، قلت لها إنني وجدتُ عروساً مناسبة وستتم الخطبة قريبا ...

ذُهلتْ إســـراء من كلماتي ولم تســـتطع أن تتماســـك غير أنها أغلقت الهاتف..

- لماذا فعلتَ ذلك لما لم تتركها تبوحُ بما في قلبها وتريحها حتى وإن لم تكن تبادلها نفس الشعور ؟؟!!

- ومـاذا بعد أن تعترف هي بحبها ؟؟ ، ماذا أفعل ؟! ، يكون ردي عبد العزيز يحبك ؟! ' أم إنني ما زلت أحب صـــديقتك ؟! لا بد أن أكون واقعيا ،أعلم جيدا أنني تســـببتُ لها بجرح عميق ولكن ماذا أفعل ؟! كيف أحبها أو أتزوجها ؟!!، وإن فعلتْ ، كيف ســـيكون تصـــرفي مع صديق عمري ؟! كيف أطالع وجهه أو أواجه نظراته ؟؟..

ما فعلتُه كان هو الصـواب ارتباطي بها كان مستحيلا وما فعلته يجعل لديها فرصة للتقرب من الشخص الذي أحبها ..

- ألم تكن لديك أية حلول أخرى غير هذا الحل الذي قســـمت به قلب الفتاة المسكينة ، هل كنتَ فعلا بحثتَ عن عروس ؟؟

- لم يكن لديّ أية حلول أخرى ولم يكن هناك عروس ..

- إذا لماذا تصرفتْ بهذه القسوة ؟!

- عمرو، أنت غبي ؟! ، منذ ســاعه وأنا أحكي لك لماذا تصـرفت بهذه الطريقة !!



- أنا لســـت غبياً ، أنا فقط أتأمل حال هذه المســـكينة وما حلَّ بها من تصرفك الذي لا أجد له وصفاً غير أنه تصرف حيواني ..

ابتسم سعيد ، ولكن هذه المرة ابتسامة ألم وليست ابتسامة رضا لسب عمرو المحق في سبابه ووصف تصرفه بالحيواني.

- كنتُ أتمنى أن يجدي تصـــرفي الحيواني نفعا، فقد حدث ما لم أكن أتمنى أن يحدث ..

- ماذا كنتَ تتمنى؟! وماذا حدث ؟!

ما توقعته يا صديقي أن إسراء ستصاب بصدمة ولن تعاود الاتصال بي وكنت بدوري سوف أمنع صديقي من الاتصال بها لفترة وبعدها يحاول الاتصال بها ويعترف لها بحبه ويعوضها عن ما حلَّ بها من ألم وتبدأ قصتهما سويا ولكن حدث ما كنت أخشاه ..

بعد أن انتهى حديثها معي اتصلت بعبد العزيز وبدون أية مقدمات كان سؤالها ....

- هو سعيد هيخطب ؟!..

- لا ، مين قالك كده هو مش بيفكر في الارتباط دلوقتي...



- أُمّال ليه قاللي كده ؟!..

- قالك إيه ؟!..

- قال إنه لقى عروسة وهيتخطبوا قريب ..

حاول عبد العزيز أن يدير ما سمع برأسه ويحلل الموقف ولكن حبه لها وصعوبة الموقف أوقفا عقله عن التفكير ..

- إسراء ، هو إيه اللي حصل بالظبط ؟!..

- صـــاحبك عارف إني بحبه ولمَّا كلمني من فترة افتكرت إنه فهم كده أخيرا واســتنيته يتكلم ومتكلمش قررت أنا اللي اعترفله بحبي حتى لو مش بيحبني بس أرتاح وأقوله اللي جوايا ..

اعتصر قلب عبد العزيز ألما فقد استوعب الموقف أخيرا ..

وفهم لماذا تصرف صديقه بهذه الطريقة ...

- امممممم كملي وبعدين ..

- هو حسّ إني بكلمه عشـــان أقولـه إني بحبه وقبل ما اتكلم قاللي إنه هيخطب عشان يمنعني أتكلم ..

رغم ما حلَّ بعبد العزيز من ألم إلا أنه تمالك دموعه ..

-طيب بس اهدي وأنا هكلمه وأشــوف عمل كده ليه وإن شــاء الله خير ...

- لو سمحت متكلموش في حاجه أنا مش هجبره يحبني غصب عنه ،أنا عارفة إنه لسه بيحب جميلة وعمره ما هينساها بس أنا كان نفسي أقوله إني بحبه وارتاح من الوجع اللي جوايا ..

- اهدي طيب يا إسراء وسيبي الموضوع ده عليا ..

أنهى عبد العزيز اتصاله معاها وطلبني علي الفور ..

- انت فين يا صاحبي ؟

- موجود يا زيزو خير في حاجه ؟

- أيوه عاوزك ضروري ..

صـوته كان متغيراً وفهمتُ من الوهلة الأولي أن إسـراء قد تحدثتْ إليه فحاولتْ التهرب من سؤاله ..

- أنا عاوز أشوفك دلوقتي ..

- الوقت متأخر يا صــاحبي خليها لبكرة ما احنا مع بعض في الشــغل طول اليوم بكرة ..



- ماشي نستني لبكرة لأن الموضوع مينفعش علي التليفون بس لازم تيجي لأن الموضوع مهم جدا ..

- تمام يا صاحبي بكرة لينا قاعدة ، سلام

- سلام إيه يا ابني انت مش هتسالني إيه الموضوع ؟!

- ياعم ما احنا هنقعد بكرة براحتنا ..

أيقن عبد العزيز أنني أريد التهرب من حديثه فكلانا يفهم الآخر بدون كلام ..

كان لقاؤنا في اليوم التالي بعد أن تعمدتُ التأخير ولكنني وجدتُ عبد العزيز في انتظاري ، بمجرد أن دخلت المحل كان سؤال عبد العزيز مباغت وبدون مقدمات ..

- لماذا قلت لإسراء إنك وجدت عروساً وسترتبط قريبا؟!! ..

عبد العزيز دائما صريح ولكن هذه المرة كانت صراحته مفاجأة لي فهو لم يدور كثيرا حول الموضوع وبدأه مباشرة ، لذلك قررت أن أكون علي نفس القدر من الصراحة ..

- أحسستُ أنها تريد أن تخبرني بحبها ..

- ولماذا صددتها فهي تحبك؟ ..

- لكني لا أحبها ..

- بل فعلتَ ذلك لأنك تعرف أنني أحبها ليس لأنك لا تحبها ..



- في جميع الحالات ما فعلته كان هو القرار الصحيح ..

- لم تكن موفقا في قرارك يا صديقي فالفتاه تحبك منذ سنوات وتخفي ذلك وكلنا يتمني أن يجد مَنْ تحبه ..

- ولكن صديقي يحبها ..

- ومن قال إن صديقك سيغضب إذا تزوجتها أنت ؟!

- حتي وإن لم تغضب يا صديقي فسيكون الجرح غائرا في قلبك ولن أسامح نفسي علي ذلك ، غير أنني لا أحبها وهي ستكون مثل غيرها بالنسبة إليَّ ، أمّا أنت فهي تعني لك كل شيء ، والآن الفرصة أمامك لتقتنص حبها فأنت أحق الناس بقلبها ..

- وهل تري أنه من الممكن الآن أن أتقرب إليها، لقد حرمتها علي نفسي مثلما حرمتها أنت علي نفسك ..

- عبد العزيز ، الأمر لا علاقة له بالشهامة أو الصداقة أنا لا أحبها وأنت من تحبها وأولى مني بحبها ..

- انتهى الأمر يا صديقي، فإن لم تتزوجها أنت فأنا لن أتزوجها وسوف أخبرها أنك تريد خطبتها وسأكون أول من يهنئكم ويرقص لكم في عرسكم ....

قاطع عمرو حديث سعيد : ما هذا الصديق إنه نادر في هذ الزمان ..

سعيد : لذلك أحبه فدائما كان خير سند وكان رجلا يعتمد عليه، لكنه كان قاسيا علي نفسه إلى أبعد الحدود هو على استعداد دائما لفعل أي



شــيء من أجلي ومن أجل الحفاظ على صــداقتنا التي لم تقم يوما علي المصلحة ، كنا دائما أصدقاء من أجل الصداقة فقط ..

- وكيف كان ردك عليه ؟

- رفضـــتُ ما قالـه تمـاما وكان ردي جافا وأنني لا يمكنني الارتباط بـإســـراء أو بغيرها وأن مـا تركتـه بي تجربة جميلة من ألم جعلني لا أســتطيع أن أحب غيرها أو أن يميل قلبي إلى إحداهن مهما كان حبها لي ، وأنني فعلت ذلك من أجله ولأتيح له الفرصـــة للتقرب منها ، فإذا شــاء فليفعل ،وأما عن ارتباطي بإســراء فهو مسـتحيل ليس لأنه يحبها ولكن لأنني لم ولن أحبها ولن أفكر فيها يوما ما ..

-دائما تقسو على نفسك وتتخذُ قرارات صعبة من أجل الآخرين أنت لا تستطيع إسعاد نفسك أبدا يا صديقي ..

اتجه سعيد نحو النافذة واستند إليها ناظرا إلى عمرو :" وما قيمة الحياة إذا لم تسعد الآخرين "

- أمرك غريب تسعد الآخرين وتتعس نفسك ؟!

- أنا لست تعيساً ولا أشـعر بالسـعادة إلا إذا كنت سببا في رسمها على وجوه الآخرين ..

- لكن قرارك هذه المرة كان فيه تعاسة لإسراء ..

- لم يكن كذلك ،قصـدتُ أن أصـدمها لأتيح لها الفرصـة لإيجاد السـعادة مع الشخص الذي يستحقها ويحبها بصدق فأنا لا أحبها وإذا تقربتْ مني كانت ستصبح أكثر تعاسة لأنني لا أحبها..

لنعد الي لعبتنا فانا اخذت دورا كبيرا هذه المرة ..

- أكمل لي ما حدث بعد ذلك ، أم إن قصــة عبد العزيز وإســراء انتهت بعد هذا اللقاء ؟

- لا لم تنتهِ بعد ولكني أريد أن تفتح لي قلبك أكثر من ذلك .

- إذاً أكمل أنت أولا ..

- لا أريد أن أكملها الآن ولا تطلب مني أن أكمل لك ما حدث مع سعاد ..!!

- عمرو : ماذا تريد إذا ؟!

- عُد إلى مكانك لنعودَ إلى لعبتنا فهذا دوري في طرح الأسئلة ..

- عاد عمروإلى السرير واسترخى متعجبا من أمر الصديق الذي تفوق عليه في إثارة الحديث ..

- أخبرني عن أكثر صديق تأثرت به ..

- لديَّ صديقان ؛أحدهم أثَّر في فكري كثيرا ولكني دائما أحاول التهرب منه ومن ثرثرته ، والثاني صديقة دائما ما أكون مهموما بسببها ..

سعيد :" تريد أن تسحب مني بساط التشويق" ..

إذا سأقطع عليك الفرصة أخبرني عن صديقتك ..



- سـأخبرك عن صـديقة تعرفتُ عليها عبر الفيس بوك ولكني دائما ما أفكر في أمرها وأكون مهموما لأمرها ..

- ما اسمها ؟

- "نور "

- إذا هيا بنا إلى نور ....

جلس عمرو علي السرير مواجها سعيداً وهو يرشف القهوة بهدوء ..

- نور، صـديقة من الفيس بوك تعرفتُ عليها خلال أحد المجموعات ، رغم أنني لا أحب هذا العالم الافتراضـي السـخيف بكل ما يحويه من تزييف إلا أن هذه المجموعة كانت مميزة وكان بها الكثير من المثقفين ، شـعرتُ أن هذه المجموعة فعلا مميزة فقد وصـلتُ إليها صـدفة وأنا أبحث عن أحد الكتب الخاصـة بعلم نفس ، كانت المجموعة ثرية بمنشـورات جيدة في مجالات مختلفة فقررتُ أن أشـارك هذا الجمع الغفير من المثقفين ببعض المنشورات الخاصة بعلم النفس ولا مانع من نشـر بعض الخواطر ، لاحظت أن نوراً تتابع منشـوراتي باسـتمرار رغم أنني لم أكن عضـواً نشـطاً إلا أن المشـاعر الإلكترونية تكون واضحه في مثل هذه الأمور ..

قاطعه سعيد بابتسامة ، مشاعر إلكترونيه جيد هذا التعبير يا صديقي أكمل ...

المهم لم أعطها أي اهتمام فمثلها مثل أي شـخص يتابع منشـوراتي إلى أن جاءني منها طلب الصـداقة وافقت على الطلب وبدأ الحديث بيننا



كأي تعارف عادي ، كانت نظرتي إلى الفيس بوك أنه موقع تافه ومعظم مستخدميه مزيفين ،لكن حديثي مع نور كان مختلفا فقد بدأتْ حديثها بكل جرأة وأنها تريد أن تتعرف بي أكثر ليس لأن منشوراتي تعجبها مثلما يفعل الجميع ، كانت صريحة ، قالت لي إنها تبحث عن صديق يكون محل ثقة ويكون بينهما حديث دائم وصريح ، أعجبتني طريقتها دون أن أسألها لماذا وقع اختيارها عليَّ أنا بالتحديد ، وكان سؤالها هل لديك صديقة تتحدثُ معها في كل الأمور دون خجل ؟! وكانت إجابتي نعم كان لدي صديقة ولكنها الآن متزوجة ولديها طفلان ، فكان السؤال التالي أجرأ :"هل كنتَ تحبها ؟" ، كانت إجابتي على سؤالها ملتوية بعض الشيء : " معظم هذا النوع من الصداقات يكون أحد الطرفين يحب الآخر ولكنه لا يعترف بحبه خشية من أن تتدمر العلاقة وتنتهي صداقتهما "، وياليت المحب يعترف ..

- وهل ما زالت علاقتكما قائمة ؟

- لم تعد كما السابق فمن الممكن أن يتحدث أحدنا إلى الآخر من حين إلى آخر في خفاء فهي الآن متزوجه ولا يمكن أن يكون اتصالنا دائم ...

-هل يمكنني أن أأخذ دور هذه الصديقة في حياتك ؟

- بالتأكيد من الممكن ولكن لا أعتقد أن علاقتي معك ستكون مثل علاقتي معها ، لكن مبدأيا ليس لدي مانع ..

- هل ستكون مستعد أن تخبرني بأسرارك وما لم تحكه لأحد من قبل؟!!

- ليس لدي مانع ولكن ليس قبل أن تبدأي أنتِ ..



حسـنا ، أنا نور ثلاثون عاماً ،من القاهرة متزوجة ولدي طفلان ؛معاذ ومريم خريجة كلية التربية قسم اللغة العربية زوجي محاسب يعمل في إحدى شركات المقاولات ..

بدأ الحديث بيننا بشكل يومي وأخذ كلٌ منا يحكي إلى الآخر بعضـاً من أسراره ولكن نور كان لديها الكثير لتحكيه شعرتُ أنها تريد أن تخرج الكثير مما تخفيه بقلبها لشـــخص محل ثقة وأنها وجدتْ ضـــالتها في الحديث معي ، جربتُ أن أتعامل معها كطبيب نفســاني وســألتها هل كانت تعاني من مشاكل أو اضطرابات نفسانية أو مرّتْ بتجربة أثّرتْ في سلوكياتها ، وبالفعل كان لديها الكثير من الوقائع ..

- هل تريد أن أخبرك عن المشاكل القديمة منذ الطفولة ؟!

- فلنترك الطفولة جانبا الآن ، حدثيني عن المشكلة الأكبر ..

- قاطعتُ أختي لمدة ثلاث ســنوات وهذه الفترة كانت الأصــعب في حياتي وأثرت سلبيا في نفسيتي بشكل كبير ..

- لماذا ابتعدتم كل هذه المدة ؟!

- كنت في الســادســة والعشـرين من عمري كنت متزوجة منذ عامين وأختي أيضــا كانت متزوجة ، كانت علاقتي أنا وزوجي بها وبزوجها قوية ودائما كنا نتزاور وارتباطنا ببعض كان قويا،لكن نظرات زوجها إليّ كانت مريبة وغير مريحة ولكن نحن النساء نفهم نظرات الرجال دائما ونعرف المقصـود منها تجاهلت نظراته وتحرشـه الدائم ولكنه لم يتراجع عما برأسه وبدأ يتحدث إليَّ عبر الهاتف أو في أي وقت تسنح له الفرصــة ، لم اهتم لحديثه ولا لتحرشــه ولا أسـتطيع أن أخبر أختي بتصرفات زوجها وأيضا لا يمكنني أن أخبر زوجي ، تطور الأمر وبدأ



يتحدث إليَّ بكل صراحة وأخبرني بما يريد ، رغم أنني كنتُ أفهم جيدا ما يريد منذ البداية إلا أنني صُـــدمتُ من كلماته القبيحة ووقاحته، وبالطبع رفضـــتُ ما طلبه مني ، هددني بقتل زوجي وانه يخطط للتخلص منه وكانت أحداث الثورة ما زالت قائمة وأنه سوف يصحبه في مظاهرة ويقتله ولن يعرف أحد من فعل ذلك ..

ماذا أفعل مع هذا الشـــخص المعتوه ، فهو مصـــرٌّ علي ما يريد وأنا لايمكنني أن أخبر أحداً بما يفعل معي حتى لا أخسر أختي الوحيدة التي بقيت لي بعد وفاة أمي وبعد أن انشـــغل أبي في حياته الزوجية مع زوجته الثانية وعلاقتي الضعيفة مع إخوتي من الزوجة الثانية ، ياربي ماذا أفعل ليس لي بهذه الدنيا غير أختي ..

لم يتراجع هذا الحقير عن محاولاته للإيقاع بي ولجأ إلى طريقة أخرى ، ونجح في الوقيعة بيني وبين أختي وقطع علاقتنا ببعض ..

جاءوا إلينا في زيارة مفاجئة وزوجي لم يكن بالمنزل وكنت أنا قد خرجت لأشـــتري بعض الأغراض للمنزل وتركت هاتفي ، انتظروني كثيرا وبالطبع هاتفي ليس معي وتأخرت فانصـــرفوا وطعنوني في شـــرفي واتهموني بأنني علي علاقة برجل آخر وأنني كنت أواعده في هذا الوقت ، انقطعت العلاقة بيني وبين أختي بعد أن منعها من زيارتي وشوَّه صورتي أمامها كل هذا فعله لأنني رفضتُ ما طلبه مني، استمر في ممارســة كل الضـغوط للوصـول إلى ما يريد ، وبالفعل نجح فيما يريد بأن يجعل أختي تقاطعني ثلاث سـنوات ، قضـيتُ هذه السـنوات العجاف بمفردي فلا قريب ولا حتي صديق يزورني فهي أختي الوحيدة وأبي مشـغول مع زوجته وأبنائه ،الألم والخوف من الحياة وصـل بي إلي أنني كنتُ أفكر في إنجاب طفل آخر لكني تراجعت ، فمن سيرعاني في حملي أو يتولى أمري بعد الوضـــع فالمرأة منا ضـــعيفة ولا تقوى



على مواجهة تلك الأيام بمفردها ، ثلاث سنوات من الوحدة والبكاء فلم تمر ليلة إلا وتبتل وسادتي من البكاء عليها ولا أحد يشعر بك أو يسأل عنك فلا أب ولا أخ ولا أخت فكلٌ مشـــغولٌ بحياته ، حتي زوجي لم يقدِّر ما أشـــعر به ولم يتوقف عن إهانتي وكنت أتحامل علي نفســـي وأتحمل إهانته فإن رفضـــتُ إهانته أين أذهب ؟ ولمن ألجأ؟ لا يمكنني أن أخبرك بما حلَّ بي من ألم وكيف كُسـرَتْ نفسـي وكرامتي ، إلي أن جاءني خبر وفاة والدي ، مات أبي قبل أن أخبره بالكثير تركني قبل أن أبوح له بما يعتصـــرني من ألم ، كنتُ أريد أن أخبره بتقصـــيري في حقه، كنتُ أريده ســـندا وعونا على الحياة، كنت أتمني أن يظل قريبا مني فهو من بقي لي بعد وفاة أمي، كنت أريده حاميا حين يهينني زوجي لم أره منذ زمن بعيد فكثيرا ما كنتُ أبحث عنه وأحتاجه لكي يدافع عني ويرد إليّ حقي ، افتقدته كثيرا :"افتقدتك كثيرا يا أبي " ....

توقف عمرو فجأة :" كانت امرأة نقية رغم بساطة ما تتمنى إلا أنها لم تجد ما تتمناه "

ســـعيد : الأمثلة هذه كثيرة يا صـــديقي ومتكررة في مجتمعنا المليء بالشـــوائب ، مجتمع مبني على عادات وتقاليد بائدة ما أنزل الله بها من سلطان ، أنا لا ألوم هذه السيدة المسكينة، ماذا ستفعل أمام زوج أختها المخبول وما بين أختها المريضـــة التي تشـــك فيها وزوج انتزعت الرحمة من قلبه، لا يحتوي زوجته ويعوضـــها عما افتقدت من حنان الأبوة وود الأخوة..

- ماذا حدث بعد ذلك ؟



- أخبرتني نور أن علاقتها بأختها عادت بعد وفاة الأب ولكن بالتأكيد ليس كالسابق فما حلَّ بها من ألم مما تعرضت له من ظلم وطعن في شرفها لن يمحى من ذاكرتها حتى وإن سامحت فهي لن تنسى ..

- هل انتهى حديثك معها عند ذلك ؟

- بالتأكيد لا ، نور قصتها تكفي لتكون رواية كاملة يا صديقي ..

بعد حديثنا لمدة شهر عبر الفيس بوك طلبت منها أن نتقابل وتحكي لي باقي قصتها وبالفعل كان لقاؤنا لتحكيَ لي ما هو أصعب وأقسى مما سردته لي خلال نافذة الشات عبر الفيس بوك ..

- أخبرني ماذا دار بينكما في هذا اللقاء ..

قطع الحديث بين الصديقين أصابع غليظة تطرق الباب مرة أخرى ..

عمرو : هذه أصابع عطيه السخيف ..

ابتسم سعيد افتح الباب لترى من الطارق وماذا يريد ..

اتجه عمرو نحو الباب ولم يفتحه كاملا لكي لا يرى عطيه مَنْ يجلس معه بالعنبر ..

-خيرا، ماذا تريد ؟

ما زال عمرو يقف حاجبا رؤية العنبر من الداخل عن عطية الذي يَشبُّ علي أطراف أصابعه وهو يحدثه يريد أن يرى مَنْ بالداخل..



- أعاد عمرو السؤال عليه ماذا تريد، لماذا أتيتَ إلي هنا ؟!

نزل عطيه علي أمشـــاط قدميه وتراجع إلى الخلف قليلا: "دكتور خالد يريدك في مكتبه سأل عنك كثيرا "

- قل له سأذهب إليه بعد قليل لديَّ حالة ولا يمكنني الذهاب الآن ..

- حالة!، أية حالة يا دكتور ، مَنْ معك بالداخل ؟!!

- لا شأن لك ، اذهب الآن وأخبر خالداً بما أخبرتك به ..

غضـب عطيه من ردة فعل عمرو ونفخ في وجهه (اوووف) ، ثم تمتم بكلمات لم يسمعها عمرو وأدار وجهه كالعادة وانصرف...

أغلق عمرو الباب واتجه نحو سعيد الذي كان يتابع الموقف عن كَثَب ولم يتمالك نفسـه من الضـحك ولكنه توقف مسـرعا بعدما لاحظ الغضـب على وجه عمرو قائلا: " لا بأس هو رجل سـخيف فعلا أكمل لي قصة روح، أقصد نور "......

جلس عمرو محـاولا أن يعود إلى حـالتـه الطبيعية يتحدث إلى ســـعيد: "هذا الرجل سـخيف وفضـولي ومتطفل لدرجة تفوق الاحتمال يريد أن يعرف كل شيء حتي لو لم يستفد شيئاً يذكرني بمخبري الشرطة "

- وما المانع أن تدخل وتعرّفني به ؟!..

- ولماذا أريحه دعه يأكل بعضــــه مثل النار التي بداخله هو لا يعرف مَنْ هنا ولم يحضـر العراك الذي نشـب بينك وبين العاملين بعد الظهر لأن عمله اليوم كان مسائيا ..

- إذاً دعنا منه الآن وأكمل لي ماذا حدث في لقائك مع نور .



- تقابلنا في إحدي الحدائق العامة كانت فتاه بسيطة ويبدو عليها الطيبة والهدوء ، جلسنا علي إحدى الطاولات وبدأ الحديث المطول بيننا في كثير من الأمور والذكريات حتى بدأتْ نور تحكي عن ذكريات طفولتها ..

الطفلة التي نشأت في بيت يحوي كثيرا من المشكلات بين الأب والأم، كانت هي الطفلة الأولي، دائما كانت تنشب الخلافات بين الأب والأم ويلجأون إلى الطفلة التي لم تكمل عامها التاسع لتحكم بينهما ، كيف لطفلة أن تفصل في نزاع بين أبيها وأمها ، كانت نور في عامها التاسع حين وضعتْ أمها المولودة الثانية منار ، الخلافات المتكررة بشكل يومي بين الأب والأم بالطبع أثّرتْ سلبا على الحالة النفسانية للطفلة التي لا تعي شيئاً من أمور الحياة بعد ..

وصلتْ نور إلى المرحلة الإعدادية وكثرت الشكاوى من المدرسين فالبنت رغم تميزها الدراسي فهي خاملة ولا تتفاعل مع المدرسين ولا مع زميلاتها، رغم توجيهات الأب والأم لها لم يتغير شيء في طباعاها وما زالت انطوائية ، انقضتْ السنة الأولى من المرحلة الإعدادية وفي أول أسبوع من العام الثاني عادتْ نور إلى البيت لتجد أمها قد فارقت الحياة ، دخلتْ الطفلة في حالة اكتئاب من أثر الصدمة علي رحيل الأم، بعد عناء ومحاولات علاج متكررة عادت إلى المنزل لتجد زوجة الأب في انتظارها وتعتني بأختها الصغيرة ، لم تكن زوجة الأب الجديدة سيئة في معاملتها مع نور لكن نور كانت دائما تتجنبها ولا ترى فيها شيئاً من أمها، لم تستطع تقبل فكرة أن تحل زوجة أبيها محل أمها ، لم

يكن هناك شيء من رائحة الأم غير خالها محمود الذي دائما ما يسأل عنها ويحمل لها الهدايا باستمرار..

الخال الحنون لا بد أن تقضي نور يوم الجمعة من كل أسبوع معه ومع أبنائه في منزله ، كانت الصغيرة تشعر بالخجل وتشعر أن خالها يفعل ذلك من باب الشفقة وأنها ليس لها حق في تلك الهدايا التي يأتي بها ، ترفض محاولة أي شخص من التودد إليها أو التقرب منها ، الأدهى من ذلك أن الأب انشغل مع زوجته الجديدة وأبنائه منها إلى أن قررتْ نور الانتحار وفعلتْ مثلما شاهدتْ في أحد المسلسلات وقطعتْ شرايينها بعد أن أغلقتْ غرفتها ، لكنها لم تُحكم إغلاق الباب ودفعته أختها الصغيرة لتجدَ الدماء تسيل من يدها اليمنى وتصرخ ليحملها الأب مسرعا إلى أقرب مستشفى، بعد عشر ساعات في العناية المركزة أنقذتْ الطفلة من الموت وتعرض الأب للمساءلة القانونية لأن نوراً لم تكن قد أكملت عامها الرابع عشر وينفد من السجن بأعجوبة...

ناقوس الخطر يضرب بقوة لكن الأب لم يعِ الدرس جيدا ، ولم ينتبه إلى ما تعانيه نور من ألم نفساني ..

قطع سعيد حديث عمرو : كيف لطفلة عمرها أقل من أربعة عشر عاما أن تفكر في الانتحار ؟!

عمرو : الألم النفساني يا صديقي لا يفرق بين صغير وكبير، البنت تشعر بالإهمال من الأب وهي غير متقبلة لفكرة أن زوجة الأب تحلُّ محل الأم ،هي كانت تنتظر اهتماماً اكبر من الأب ، لكنها لم تجده ولا تنسى حتي تقرب الأب منها لن يكون سهلا ومقبولا منها فالمشاكل التي كانت تحضرها بشكل يومي بينه وبين أمها ما زالت عالقة بذهنها وتركت بداخلها أثراً كبيراً ..



- تقصد أن الأطفال قد يصابوا بأمراض نفسانية ؟!

- بالطبع الأطفال أذكياء أكثر مما نتخيل وهم يشعرون بكل شيء تأكد أن كل خلاف وكل كلمة تنطق بها أمام طفلك لا تمر مرار الكرام ، ليس فقط فقدان الأب أو الأم هو ما يؤثر في نفسية الطفل ولكن الخلافات الدائمة والانفصال ..إلخ

كل هذه الذكريات والمشكلات كان لها تأثير سلبي على الحالة النفسانية لنور ..

كان لا بد بعد حادثة الانتحار أن ينتبه الأب إلى ابنته ،وأن يعرضها علي طبيب نفساني لكنه لم يفعل واستمرت معاناة نور التي لا يشعر بها أحد ولا يعرف أحدهم كيف تفكر أو ماذا يدور برأسها ، فهي دائما تشعر باليتم ليس لفقدان الأم فقط ،وإنما أيضا لا تشعر بوجود الأب ،في كل مشكلة تتعرض لها تنطوي على نفسها وتبكي فهي دائما وحيدة وليس لها سند في هذه الحياة ، هي لا تستطيع الدفاع عن نفسها في أي موقف ولا تحاول الدفاع عن نفسها ، أنهكت نفسها في المذاكرة إلى أن انتهت من المرحلة الثانوية وبدأت المرحلة الجامعية لتلتقي بالحب الأول ....

صمتَ عمرو فجأة ولم يُكمل حديثه ...

سعيد : لماذا توقفتْ ..

عمرو : أقدام عطيه أمام الباب.. انظر أسفل الباب .

هناك أقدام تتحرك وظلها يدخل من الأسفل ...

-فعلا هناك شخص يتحرك أمام الباب ..



- لا بد أنه عطيه يريد أن يعرف مَنْ هنا وإلى مَنْ أتحدث لم يتخلَّ عن عقلية المخبر يوما ما ...

- دعك منه وأكمل حديثك ...

- لا بد أنه يتصنتُ علينا ويسمعُ ما نقول لنصمتْ قليلا لنر ماذا سيفعل ، لقد عثرنا علي شيء يسلّينا ويريحنا من الحديث بعض الوقت ...

تحرك عمرو ناحية الباب ليجد صوت أقدام عطيه قد اختفى ..

عمرو: لقد غادر الوغد المكان، لا بد أنه استشعر أننا نراقبه..

سعيد: عليَّ أن أذهب الآن ونلتقي فيما بعد ..

عمرو : لماذا تريد أن تذهب لم نُكملْ حديثنا بعد ..

- أكمل لي ما حدث مع نور أولا ثم ننصرف ونلتقي غدا ..

- انتقلت نور إلى المرحلة الجامعية ولكنها ما زالت تحتفظ بشخصيتها الانطوائية المنعزلة ..

لم يكن لها أصدقاء سوى صديقة وحيدة كانت تشببها كثيرا في طباعها ، توطدتْ العلاقة منذ العام الدراسي الأول بين الصديقتين نور وشيرين .

مع بداية العام الثاني لاحظت شيرين أن هناك شخصاً يهتم بنور ويتتبعهما في كل مكان ، كان شاباً يسبقهم في الدراسة بعامين يبدو عليه الوسامة وعلامات الثراء ..



حـاول عصـــام لفت انتباه نور وصـــديقتها إليه ولكن محاولاته باءت بالفشــل ، الفتاة التي تحمل بداخلها كثيراً من الألم منذ الطفولة ليس لها أية تجارب سابقة وليس لديها استعداد لتخوض تجارب فاشلة ..

حاول عصام مرة أخرى الوصول إليها عن طريق شيرين التي أخبرت نوراً بما قاله عصـام وإنه معجب بها كثيرا، كان رد نور جافاً وإنها لا تريد أن يكون لها علاقة بأحد ، حاولتْ شـــيرين إقناعها لما رأته من الشاب الوسيم والذي يبدو أنه شاب جيد ولن يتلاعب بها ، أصرَّتْ نور علي الرفض لكن شيئا ما بداخلها يريد دفعها إلى عكس ما تريد..

محاولات عصـــام المســتميتة وإصــراره جعلها تفكر في الأمر بجدية وبالفعل بدأت قصة حبهما...

مـا زالت نور تحتفظ ببراءتها وعقلها الطفولي فما كان لها إلا أن بدأتْ علاقتها مع عصـام بمنتهى الوضوح وأن تخبره بكل ما سبق من فقدان الأم وإحســاســها الدائم باليتم والانعزال عن باقي أفراد الأســرة وعن انشغال أبيها عنها مع أبنائه من الزوجة الثانية ، كانت نور أمام عصام ككتاب مفتوح ، تدفقتْ مشـاعرها لا إراديا نحوه دون توقف أو سيطرة ، كـان عصــــام لطيفا معها ودائمـا ما يكون ســبَّاق بهداياه ومفاجآته المتكررة إلى أن أعطته نور كل ما لديها من مشـاعر بريئة ، انقضـت السنه الثانية ونور ما زالت تعيش أجمل أيام حياتها ، اسـتطاع عصـام أن ينســيها كثيرا من الألم وإحســاس اليتم الذي كان يســيطر عليها ، تغيرتْ نظرتها إلى الحياة ،أصبح لها أصدقاء كثيرون وواجهت المجتمع بقوة ، فقد ابتسمتْ لها الحياة وعوضتها الدنيا بعصام ..

انتهى عصـام من دراسته ونور تستعد للسنة الدراسية الثالثة بكل شغف فقد حصـل عصـام على وظيفة جيدة وقبل أن تنتهي دراسـتها سيكون قد



أصـــبح جاهزا لأخذ خطوات رســـمية في علاقتهما ، لكن ما إن بدء عصـام عمله بدأتْ معاملته معها تتغير، فلم يعد اهتمامه بها كالسـابق، لم يعد عصـام الحنون الذي غير نظرتها عن العالم فقد أصـبح عصـبياً وسـريع الغضـب والانفعال ، يمنعها من الخروج مع زميلاتها بل ومن الخروج من المنزل وهي تطيعه طاعة عمياء فقد تملَّك قلبها ولم يعد له منازع ...

ازدادت الخلافات بينهما نتيجة تسـلط عصـــام الدائم والمتزايد إلى أن وصـلتْ نور إلى حالة من الغضـب ،أثرت سـلبيا علي حالتها النفسـانية والجســـدية ودخلتْ في إغمـاء أودى بهـا إلى العنـايـة المركزة لتظلَ طريحـة الفراش لثلاثـة أيام تنتظر نتائج الأشـــعة وكانت المفاجأة أنها تحتاج إلى عمليه توسـيع أحد صـمامات القلب فنبضـات القلب ليسـت منتظمـة ولا بـد من إجراء الجراحـة عـاجلا ، كـل مـا حـلَّ بهـا من ألم ومشـاكل صـحية لم يكن يشغلها كما يشغلها غياب عصام الذي لم يسأل عنها طيلة ثلاثة أيام رغم أنه قد وصـلته أخبارها عن طريق شـيرين ، في اليوم الرابع جاء عصـــام برفقة شـــيرين لتفاجأ به علي باب الغرفة يحمل باقة الورود علي أنه أحد زملائها بالجامعة..

لم تمر سـاعات من زيارته حتي تحسـنتْ نور وخرجتْ من المسـتشـفى لتترقبَ ميعاد إجراء الجراحة في خلال شـهر ، عاد عصـام كما السابق واعتـذر لهـا عمـا بَـدَرَ منـه في الفترة الأخيرة قبـل الوعكة الصـــحية . أُجريت لنور العملية الجراحية وتحسـنتْ حالتها الصـحية، لكن فرحتها لم تسـتمر طويلا فقد عاد عصـام إلى سـابق عهده من عصـبيته وسـوء معـاملتـه لهـا ، لم تعد نور تتحمل تلك المعـاملـة التي لا تجد لهـا مبرراً وفجأة اختفى عصــام ولم يعد له أثر ، انهارت نور وعادت إلى آلامها النفسـانية التي لا يشـعر بها أحد حتى جاءها اتصـال من عصـام الذي



أخبرها أنه لن يستطيع إكمال مشواره معها لأن أمه اختارت له ابنة خالته..

توقف عمرو فجأة عن الحديث ونظر إلى سعيد ، هل يستحق هذا الشاب أن يوصف بالرجل ؟!!

-هذه النماذج كثيرة يا صديقي هؤلاء هم أنصاف الرجال ولكن ما يمكنني أن أستنتجه أن هذا الشاب لم يحبها منذ البداية لقد كان يبحث عن فتاة يخلص منها ما فعلته به أخرى ..

وجدها فتاة هادئة ليس لها تجارب سابقة لعب عليها دور المحب العاشق حتى تعلقت به وبعد ذلك تركها لينتقم لنفسه مما فعلته به إحداهن في السابق ، ثم يعود إلى أمه لتختار له فتاة ليس لها تجارب سابقة ، ولكن غالبا ما يقع هؤلاء في شر أعمالهم ويجد من تتناسب معه وتذقه الأمرّيْن ويظل طوال حياته نادما علي تفريطه في فتاة مثل نور ؟؟

- أتفق معك تماما هذا ما قلته لنور بعد أن أخبرتني بهذه القصة .

- ماذا فعلتْ نور بعد ذلك ؟

- انتكست حالتها الصحية والنفسانية إلى أن تدخل الخال الوحيد المتبقي من رائحة أمها ليتمكن من انتزاع ما خبأته نور بقلبها وإخراجها من الإنتكاسة التي حلت بها، لكي تواجه الحياة وإقناعها بأن هذه أول تجربه لها وأن الحب الأول دائما يكون وهماً وغالبا ما يفشل..

بعد محاولات عديدة نجحتْ نور في اجتياز تلك المرحلة لتنتهي من دراستها الجامعية وتقابل زوجها الحالي بعد أول أسبوع من العمل في إحدى المدارس الخاصة لتجمعهم علاقة حب لفترة قصيرة انتهت بالزواج وحياتها الآن مستقرة ليست الحياة المثالية ولكنها أفضل بكثير مما سبق ..

سعيد : الحمد لله أخيرا انتهت إحدى قصصنا بنهاية جيدة ..

ابتسم عمرو لم تكن كما تمنيت، أعتقد ذلك ..

-فعلا لم تكن كما تمنيت ولكن نهاية إلى حد ما جيدة ..

عليَّ أن أنصرف الآن وأتركك لترى ماذا يريد منك زميلك وماذا ستفعل مع عطيه ..

- حسنا سأنتظرك غدا بعد الثانية ظهرا ، لا تتأخر ما زال لدينا الكثير، فقصتك مع سعاد وماذا حدث بعد ذلك بين إسراء وعبد العزيز لم تخبرني بها ..

- لا تقلق يا صديقي سأكون هنا قبل الثانية ..

انصرف سعيد ، واتجه عمرو نحو مكتبه ،حمل حقيبته وذهب إلى زميله خالد الذي لم يجده بمكتبه ويخبره عطيه أن دكتور خالد خرج ليشتري بعض الأغراض " أخبره إذا أنني مررتُ علي مكتبه ولم أجده " ...



انصرف عمرو متجها نحو باب المستشفى، ركب سيارته واتجه صوب شقته ، دخل إلى الشقة مبتهجا، خلع ملابسه واستلقى في فراشه وبدأ يعيد ما دار خلال يومه الطويل وعن الصديق الوفي الذي حضر اليوم ، يحدث نفسه :" سعيد ، إنه شخص جيد ولديه العديد من التجارب أنا محظوظ أن أجد صديقاً مثله في هذه الأيام" ..

قطع جرس الشقة حديثه مع نفسه هناك شخص وضع يده على الزر ويطرق الباب في آن واحد ..

اتجه عمرو مسرعا نحو الباب ليجد صديقه وليد يصيح في وجهه: " أين أنت منذ الصباح ولماذا تغلق هاتفك ؟!"

- وليد ...أهلا بك اعذرني كانت لدي حالة مهمة انشغلت معها بعد انتهاء وقت العمل ..

- أية حالة أنت تكره هذا العمل ولا تهتم بحالاتك ياعمرو ..

- هذا ما حدث يا وليد ،لماذا جئت إلى هنا ؟!!

- ماذا أتى بي إلى هنا؟ !! أبحث عنك طيلة يومين وبعد أن أجدك يكون هذا ردك !!

- اعذرني يا وليد ولكني لم أعد أطيق جلوسك معي كثيرا لأنك لم تتخلَّ عن ثرثرتك وأفكارك الغريبة والأوهام التي تعيش بها ؟!

- أية أوهام يا عمرو؟!!

- أفكارك الفلسفية الغريبة، وآرائك العجيبة في الدين ،غير الإلحاد الذي تريد أن تقنعني به ..



- أنا لا أثرثر ولا أتحدث بأفكار غريبة ولكنك أنت الذي تعيش بمعزل عن العالم ثم إنني لم أفرض رأيي عليك ولم أجبرك علي اعتناق أفكار أنت غير مقتنع بها ..

- وليد، أنت تتحدث في أمور شـــائكة ومعظمها قد قُتلَ بحثا وســـبقك الكثير إليها ..

- إذا لماذا تخشـــى الحديث معي في تلك الأمور، التي قُتِلتْ بحثا من وجهة نظرك ، هل تخشى أن أقنعك بأفكاري ؟!

- أنا لا أخشى على نفسي من أفكارك ولكني مللتها ومللتُ القراءة عنها منذ سنوات طويلة، إن ما تفكر به أنت الآن سبقتُك إليه منذ زمن ليس بقريب ..

- أرأيت مَنْ مِنا يحب الثرثرة ويستعرض عضلاته الفكرية ؟!

- عدنا إلى نفس الطريقة السخيفة في الحوار مرة أخرى !!

- إنني أريد أن أصـــل إلى الحقيقة وأعتبرك أحد الوســـائل في طريقي فلتحاول أنت إقناعي برأيك ..

- بماذا أخبرك وأنت لا تؤمن بوجود الله الموضوع منتهٍ بالنسبة إليك..

- أثبت لي أنت وجود الله ؟!

- هل تعتقد أن هذا الكون خلق بمحض الصـدفة ،وأن هذه الطبيعة بكل ما فيها من نظام جاء بدون مدبر ؟! ولا تســتعرض لي أفكار ســـارتر وأن الإنسـان أُلقي به إلى هذه الدنيا بدون سـبب وبدون راعٍ وأن الحياة عبارة عن حالة من الغثيان مثلما ادَّعى هو ..



أنا أؤمن بوجود الله لأنني أشعر بوجوده في كل مكان، في الطبيعة والحياة في النظام الكوني المحكم في جسم الانسان، كل هذه أمور تثبت وجود خالق حتى وإن اختلفت الآراء حول صفات الخالق أو اسمه من ديانة إلى أخرى ، ولكن في النهاية فكرة التوحيد موجودة في كل الأديان وأن هناك خالقاً لهذا الكون ولا بد أن تلاحظ أنني أناقشك بأسلوبك المادي البحت ولم أتوجه إلى إسناد رأيي بآيات قرآنية أو غيرها ..

- لماذا لم يَخلق الله الناس كلهم مسلمين ؟!

- وليد، قلتُ لك أنا لن أجادلك في الدين دعنا في نقطة التوحيد ووجود الإله ..

- فلندع هذا الأمر جانبا واعتبرني أؤمن بوجود إله للكون ، أجب عن سؤالي ..

- إذا خلق الله جميع الناس مسلمين ماذا سيكون الفارق بين البشر والجماد والحيوانات؟!!

لو خلق الله الناس جميعا مسلمين فلن نكون بشراً، سنصبح ملائكة مُسَيّرين ليس لنا حرية في أي شيء ، مكمن الحرية للبشر في حرية اختيار الدين أوإنكاره للأديان ولله ذاته مثلما تفعل أنت ، وهنا إجابتي علي سؤالك القادم في المُخَيَّر والمُسيَّر فالله خلقنا ومنحنا العقل ليميزنا عن جميع مخلوقاته من الجماد والنباتات والحيوانات وحتى الملائكة فالعقل يكفل لك حرية الاختيار في كل شيء، اختيار عملك و دينك و أفعالك و كل ما تفعله هو بمحض إرادتك دون أي تدخل خارجي ..



- جيد حديثك هذه المرة يا صـــديقي وتبدو هادئاً في نقاشـــك، إذاً لديَّ سؤال آخر سأحاول استغلال هدوءك إلى أبعد مدى ..

إذا كان الإنسان حراً في اختياراته، فلماذا كتب الله أعمال البشر مسبقا ؟!

- الإجابة هنا ســتحتاج إلى توضــيح أمور دينية لأن ســؤالك متعلق بصميم العقيدة وأعتقد أنك مُنكِرٌ للدين فلننهِ حديثنا في العقيدة ثم نتحول إلى التشريع ..

- فلتعتبرني قد اقتنعت بما قلته ، ونترك العقيدة جانبا وندخل إلى التشريع والفقه إن أمكن ..

- لكي تعلم لماذا كُتِبتْ أعمال البشر عليك أن تعلم شيئاً منطقياً قبل أن ندخل إلى الشق الديني ، وهو أسبقية العلم الإلهي، الذي يعني باختصار شديد أن الله سبحانه وتعالى هو خالق البشر ويعلم ما في نفوسهم وما سيفعلونه ..

مثال بسـيط إذا كنتَ أنت مخترع لشـيء ما، فأنت مَنْ تضـع له دليل استخدام وأنت مَنْ تحدد متى سينتهي عمر اختراعك وما هي الأعطال التي سـتصـيبه، ببسـاطة لأنك مَنْ اخترعته وصـممته فأنت أعلم بكل خباياه ..

هل وصلتك الفكرة ؟

- جيد، أكمل ..

- ندخل إلى الجانب الديني وهنا يجب أن تعرف الفرق بين المفروض والمكتوب ؛ المفروض أمر واجب عليك فعله كمســلم وليس لك عذرا



أن تؤديه ولا يسقط عنك هذا التكليف ، ومثال على الأعمال المفروضة الصلاة حتى وأنت مريض ليس لك عذر عن تأديتها ، أمَّا عن المكتوب فهي تكاليف من الممكن أن تســقط عنك إذا لم تتحقق الشــروط، مثل الصيام والزكاة ، هذه أعمال مكتوبة وليست مفروضة ومِن الممكن أن تسقط عنك إذا لم تتوافر لديك الشروط والقدرة علي تأديتها ..

وأعمال البشــر هي من النوع المكتوب وليســت مفروضــة أي أنه من الممكن أن تتغير ..

مثال ذلك، إنك من الممكن أن يكون قد كُتبَ عليك أمر ما وتدعو الله دعاءً مستجاباً فيتغير ذلك القدر ومن الممكن أن تكون عاصياً وتهتدي والعكس صحيح والأمثلة كثيرة وأنت أحدها ..

إذاً يجب عليك عندما تتحدث عن أعمال البشــر المكتوبة سلفا لا بد أن تكون على علم بالفارق بين المكتوب والمفروض ، هل انتهينا؟!..

- فهمتُ ما تقصـــد قوله ولكن لماذا يدخل النار من يمت علي غير الإسلام ؟!

- أعطني آية تقول ذلك ؟! مَنْ يعتقد أن السبعة مليارات الذين يعيشون على الكوكب سـيدخلون النار والمسـلمين فقط هم مَنْ سـيدخلون الجنة فهذه مشـــكلته ، أمَّا عن الجنة فلا يوجد في القرآن ما يقول إن الجنة حكرٌ علي المسـلمين فقط ، وهذه أمور لا أسـتطيع أن أفتيك فيها كثيرا ولكن هذا هو رأيي الشخصي ويحتمل الصواب والخطأ ..

- لماذا ألتزم دينيا وأنا لمجرد أنني مسلم سوف أدخل الجنة ويشفع لي النبي لمجرد أنني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ..

- من أين أتيت بهذه الرخصة لدخول الجنة إذا كنت مسلماً؟!



- مِنْ حديث أبي ذر حين قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما معناه أن مَنْ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله دخل الجنة ، فقال أبو ذر وإن زنا وسرق ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم وإن زنا وسرق رغم أنف أبي ذر ..

- عليك أيضا عندما تذكر حديثاً أن تتأكد مِنْ مصدره فالأحاديث التي نتداولها كثيرٌ منها ضعيف ومكذوب ومفترى على النبي صلى الله عليه وسلم، فليس كل ما يقال عنه حديث هو حديث عليك أن تتحرى الدقة وهذا ليس موضوع حديثنا الآن ،أمَّا عن الحديث الذي ذكرته فأنا لا أعرف مصدره وما إذا كان صحيحا أم لا ، ولكن ما جاء في الحديث مخالف للعقيدة، وبه رخصة للمسلمين بارتكاب الفواحش، لذلك أنا لا أعتقد أنه صحيح، أمَّا عن موضوع الشفاعة فهو وارد ولكن هل تعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم سوف يشفع للجميع ؟!! ...

هل سيقف النبي صلى الله عليه وسلم شافعا للعصاة والزناة والقتلة من أمته لمجرد أنهم مسلمون ؟!! ..

هل يتساوى من قاوم هوى نفسه وشيطانه بمن طاوعهم ؟؟!!

- بعض الأحاديث والروايات تقول ذلك ؟!!

- من يعتقد أن هذا الكلام صحيحاً فليراجع نفسه أنا شخصيا لا أعتقد بصحتها لا بد أن الشفاعة مشروطة ..

- إذاً أنت تتفق معي ..

- لا ،لست متفقاً مع أفكارك ، لكن أمثال هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة كانت سببا في تشتت فكر الكثيرين مثلك ولا أريد أن أقول إنها كانت سبباً في إلحادهم ..



- إذاً لماذا لم يتشتت عقلك مثلنا ؟!

- لأنني لا أتبع هوى نفســي وأبحث عما يريحني ويريح رأيي مثلك، ولا أصـدق كل ما يقال أن النبي صـلى الله عليه وسـلم قاله أنا أتحرى الدقة في كل ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث ..

- هل تعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة أحاديثه ؟!

- نعم أعرف أنه نهى عن كتابة الأحاديث ، لكنني مثلما قلتُ لك سـابقا لا أصـدق كل ما أسـمعه من أحاديث وقبل أن تقول إن النبي نـهى عن كتابة أحاديثه عليك أن تذكر السـبب الذي دفعه إلى ذلك وأن تعرف أيضا ماذا دفع الأئمة إلى كتابة الأحاديث ..

- أخبرني إذًاً ؟

- قلتُ لك يا وليد أنت كثيرُ الكلام ،وأنا ليس لدي وقت لأضيعه معك ..

- مُنَّ عليَّ ببعض وقتك فصـديقك في حيرة وعليك أن ترشـده إلى الصواب ..

- مرة أخرى يا صـديقي فأنا مرهق جدا اليوم فلتبيت ليلتك هنا دون كلام أو تذهب إلى بيتك وتتركني لكي أستطيع النوم ..

- أصبحت جافاً في كلامك ولم يعد لديك أدنى مستوى من الذوق.



ابتسم عمرو ، أنت لا ينفع معك أية طريقة غير هذه أنت دائما تدفعني إلى أن أستخدم هذا الأسلوب معك في الحوار ...

- ما يجعلني أن أتحمل أسلوبك هذا هو أنني أعلم جيدا أن هذا الكلام ليس من قلبك ..

- لا،لا... من أعماق قلبي وآخر كلامي إليك إمَّا أن تجلس صامتا وإمّا أن ترحل الآن ..

- انقضَّ وليد على عمرو وأمسك برقبته سوف أبيت الليلة هنا ولن أدعك تذق طعم النوم ..

انتهى حوار الصديقين بهذه المداعبة من وليد الذي لا يعرف عمرو إلى الآن إذا كان ملحدا أم لا ، لكنه دائما ما يوجه إليه أسئلة غريبة وشائكة فأحيانا يظن عمرو أن صديقه ملحدٌ وأحيانا يعتقد أنه يريد أن يستزيد من ثقافته التي يعرف وليد جيدا عمق تفكير عمرو وسعة اطلاعه وقراءته الدائمة في مختلف المجالات فهو يطلق عليه مصطفي محمود العصر الحديث ، إلى الآن لم يستطع عمرو تحديد هوية صديقه أو اتجاهه ما إذا كان ملحدا أم لا، غير أن فكرة الإلحاد أقرب إلى تفكيره ..

استلقى وليد على السرير المجاور لسرير عمرو وراح في نوم عميق، لكن عمرو ما زال شاردا غير قادر على النوم يفكر فيما حدث طيلة اليوم وعمَّا سمعه من حكايات سعيد، ينتظر قدوم اليوم التالي علي أحر من الجمر ، قرر عمرو النوم أخيرا، لنسترخِ وننتظر ماذا سيكون في جعبة سعيد غدا ...



انقضت الليلة واستيقظ عمرو مبكرا هذه المرة وأعدَّ فنجانه سريعا، ولم يهتم بتفاصيل أناقته لأول مرة ، فهو يريد أن يذهب سريعا إلى المستشفى وأن ينقضي هذا اليوم سريعا ليلتقي بسعيد ، ترك وليد غارقا في نومه ونزل مسرعا نحو سيارته واتجه نحو المستشفى كعادته يتأمل الطريق وهو يحتسي قهوته المعشوقة...

وصل الي المستشفى ودخل مسرعا لاحظ كل العاملين التغير علي سلوكه فاليوم هو نشيط ومبتسم علي غير العادة ، انتهى اليوم أخيرا وأحضر عطية فنجان القهوة ليحمله عمرو ويدخل إلى عنبره المفضل ...

وضع الفنجان على الطاولة وفتح النافذة واستلقى في سريره مشعلا سيجارته ، ينتظر وصول الصديق بشغف، هناك شخص ما يطرق الباب ولكنها ليست أصابع عطية ، علي الفور اعتقد عمرو أنه سعيد ، ولكن الطارق لم ينتظر حتى يفتح له الباب ودفعه، ليجد عمرو زميله خالد أو الشيخ خالد كما يلقبه زملاؤه والعاملون بالمستشفى ، غير أن عَمْرًا لم يَدعه بهذا اللقب أبدا وهذا شيء يثير غضب خالد ولكنه لا يظهر ذلك..

دكتور خالد، طبيب في بداية الأربعينيات من عمره، متزوج ولديه ثلاثة أبناء، ملتحي ودائما ما يقصر ملابسه حتى إذا كان يرتدي بنطالاً ، حديثه عن الأمور الدينية دائم ومستمر، ولكن شيئاً ما بداخل عمرو يمنعه من الحديث معه فيما يتعلق بالدين، غير أن خالداً يلاحظ عدم اهتمام عمرو بحديثه الدائم في الأمور الدينية وخطبه الدائمة ولا يشاركه فيها أو يناقشه في أي من هذه الأمور ..



دخل خالد إلى العنبر : أطفئ هذه السيجارة ياعمرو تعرف أنها تضايقني ..

نظر إليه عمرو دون أن يتحدث ولكنه يحدث نفسه :"جاء خالد ولن أنتهي من حديثه ونصائحه التي لا يعمل هو بها، وإذا ناقشتُه لن ننتهي وسيحضر سعيد ولن أستطيع الحديث معه ماذا أفعل؟ "..

خالد : عمرو،أنا أتحدث إليك ..

عمرو : ماذا تريد يا خالد ؟!

-أطفئ السيجارة أولاً، فحديثنا مِنْ الممكن أن يطول وهي تضايقني ..

-لن أطفأها أنا لم أطلب منك الحديث، عملنا اليوم ثمان ساعات كان لديك الوقت لتتحدث معي ، تعرف أنني لا أدخن في أوقات العمل إذا أردتَ أن تجلس معي علي هذا الوضع أهلا بك ..

- لماذا تتحدث معي بهذه الطريقة ؟!!

- لأنك لن تنتهي عن كلامك المتكرر وعن اهتمامك الزائد بي، أنت تراني رجلا من أهل النار وأنا أيضا أراك من أهلها فلا جدوى من حديثنا ..

- لم أقل إنك من أهل النار، ولكني أريد أن أهديك إلى الطريق الصحيح وأرشدك إلى الالتزام ..

- وهل تعتقد إنني أحتاج نصائحك ؟!

- أنا فقط أريد أن أساعدك ..



-ساعد نفسك أولا واهتم بعلاقتك بربك ولا تهتم بعلاقة الآخرين به ، ثم إنني لم أطلب منك المساعدة ..

- أنا فقط أنصحك ..

- وأنا لا أريد نصيحة من أحد ، وإذا كنت قد أتيتَ وبدأتَ حديثك بهذه الطريقة لتخبرني باسم مرشح حزبكم في الانتخابات أريد أن أطمئنك أنني مقاطع لها ..

- لماذا هذ الأسلوب في الحديث ؟!

- دكتور خالد ، عليك أن تدرك أنك هنا تتعامل مع أطباء نفسانيين ونحن أدرى الناس بخبايا النفس البشرية ونستطيع قراءة شخصيات البشر من أول تعامل ..

- عليك أن توضح أكثر ؟!!

صمتَ عمرو وأدار وجهه عن خالد الذي يعرف عمرو أنه يتصنع التدين دائما وهو مجرد ناقل لأفكار الآخرين دون تفكير، منذ أول نقاش بينهم أدرك عمرو أن زميله مُدعٍ للتدين والورع وأنه شخص سطحي ومتصنع وهذا النوع من الشخصيات لا يحب عمرو التعامل معهم ، لكن خالد مصر على التعامل معه وتوجيه النصائح إليه ، لكن ما يغضب عمرو أكثر طريقة خالد في النصح فهو يحدثه وكأنه علي دين آخر ويريد أن يقنعه بالإسلام وهو لا يعلم أن علم عمرو بالأمورالدينية يفوقه بكثير ، لكن عَمْرًا لا يؤمن أن الدين شعائر فقط كما يفعل خالد، هو مقتنع أن الدين دين علم وعمل واجتهاد ورغم كرهه لعمله إلا أنه يؤديه على أكمل وجه ولا يقصر في حق عمله ..



- قبل أن تتحدث عن الصــلاة والصــيام وذكر الله عليك أن تتقن عملك أولا ..

- هل تراني غير متقن لعملي؟!! ..

- مَنْ يذهب إلى صلاة الظهر في وسط العمل ليصلي أربع ركعات في ساعة بماذا تسميه ؟؟

- أنا أتقن العبادة ..

- بل تتهرب من العمل ..

- أين ذهبتَ أمس في العاشرة صباحا ..

- كنت أوصل زوجتي إلى المنزل ..

- وهل هذه سلوكيات شخص متدين ؟!

من يترك العمل ســاعه كل يوم ويترك عمله ثلاثة أيام كل أســبوع قبل انتهائه بأربع ســاعات بحجة توصــيل زوجته إلى المنزل ليس من حقه أن ينصح الناس ويطلق لحيته كما تفعل..

- عمرو ، هل صليت الفجر اليوم؟!

- ليس من شــأنك أن تســألني هل صــيلت أم لا ، لا شــأن لك بعلاقتي بربي ولا تتهرب من سؤالي ،الإسلام دين عمل وعلم وليس دين شعائر كما تفعلون ، لا تمسكوا بالدين من ذيله ..

- أنت فاسق ياعمرو، كنت أريد أن أهديك إلى الطريق الصحيح ولكن ليس هناك فائدة منك ..



غضب عمرو من أسلوب خالد وقرر أن يلقي بآخر ورقة لديه ،لم يكن يريد أن يلقيها أبدا ولكن خالداً اضطره إلى ذلك ..

- أنا فاسق ؟!

كيف حال الدكتورة سلوى يا شيخ خالد ؟؟

- مَنْ سلوى هذه التي تتحدث عنها ؟!

- هل نسيت سلوى زميلتك بالجامعة التي حملتْ منك سفاحا ..

غضب خالد واحمّر وجهه ..

- لا يمكن أن تكون نسيتها بعد أن مارست معها كل ما تمنيت إلى أن حملتْ منك سفاحا وطلبت المساعدة من زملائك لتعطيها عقاقير تقتل الجنين ثم تهربت منها بعد أن سلَّمت لك نفسها وحملتْ منك،تهربتَ منها وبحثتَ عن أخرى لتكون زوجة ..

- ماذا تقول ؟!

من قال لك هذا الكلام الفارغ؟!! ..

- أظن أنك الآن علمت لماذا لا أريد أن أتحدث معك في أمور دينية ولا أقبل منك أية نصيحة، فأنت أدرى بتاريخك الأسود ولا تعتقد أن هذه اللحية وما تتصنعه من تدين سينجيك من عقاب الله ..

- إن ما تقوله كذب وليس صحيحاً ..

- لماذا احمَّر وجهك وانفعلت؟



خرج خالد مسرعا وهو يتوعد عمرو بالعقاب وأنه لن يجعل ما قاله يمر مرور الكرام ، ناداه عمرو وهو علي باب العنبر :"لا تقلق يا شيخ خالد سرك في بير "

انصرف خالد واتجه عمرو نحو النافذة يتطلع إلى البوابة وعلي وجهه ابتسامة مفعمة بالغضب بعد ما حدث بينه وبين خالد، ظل يتابع باب المستشفى وينفث دخان السيجارة بغضب وقد عمَّ القلق علي وجهه بسبب تأخر سعيد: " لماذا تأخر سعيد لقد وعدني بالقدوم قبل الموعد المحدد "..

ما زال يتابع الحركة علي باب المستشفى نصف ساعة كاملة، حتى فاجأه سعيد بالحضور، وها هو يقف أمام حراس المستشفى ينتظر أن يسمحوا له بالدخول ..

ترك عمرو العنبر واتجه مسرعا نحو البوابة مناديا علي الحارس: "دعه يدخل"..

دخل سعيد مسرعا ليقابله عمرو بالأحضان وكأنهما لم يلتقيا منذ سنوات ..

دخلا إلى العنبر وجلس كلٌ منهما في مكانه المفضل ..

ليبدأ عمرو حديثه : أخبرني عن يومك كيف كان ؟..

سعيد : بعد أن انتهينا من جلستنا ذهبت إلى المنزل حتى وقت النوم ،لا جديد نوم غير مستقر وأحلام وكوابيس كالعادة ..

عمرو : أي نوع من الأحلام ترى ؟



-أحلام غريبة لا أعرف لها سـببًا، أحيانا أرى كلاباً كثيرة تطاردني، وأحيانا أخرى ثعابين،لكن المخيف في الأمر هو أنني غالبا أتحدث إلى أشخاص لا أعرفهم و أرى مخلوقات غريبة الأطوار ..

- يا حفيظ ، وكيف تتحمل ذلك ؟!!

- لقد اعتدت على ذلك، فأنا علي هذه الحال منذ عشر سنوات أو أكثر..

- هل سألت أحد الشيوخ عن تفسير هذه الأحلام ومعناها؟!

- أي تفسير يا صديقي إنها أضغاث أحلام وأنا أستطيع أن أفرّق بين هذه الأضـغاث وبين الرؤى ، فمع هذه الأحلام الغريبة أحيانا أرى أشياء جيدة وأتنبأ بأمور وتحدث بالفعل ..

- مثل ماذا ؟!

- يزيد ابني أنا رأيته في المنام قبل بداية حمْل سـعاد وعلمتُ من الرؤية أنه سيكون ولد وسأسميه يزيداً ..

- شيءٌ رائع ، ولكن يجب أن تعرف أسباب الأحلام الأخرى ..

- أعتقد أن (روح) تستطيع إفادتنا في هذا الموضوع ...

- روح؟!!

- كانت قد أخبرتني ببعض الأمور المتعلقة بالأحلام والرؤى ، وأحداث أخرى حدثتْ معها ولكنها طلبتْ مني ألا أخبر أحدا بها ..

- هل جاءتْ إلى هنا مرة أخرى ؟!!



- لم تأتِ كان لقاؤنا لمرة واحدة فقط ولكني أشعر أنها ستعود إلى هنا مرة أخرى كما عُدتَّ أنت أيضا ياصديقي ، يبدو أنني لدي طاقة عالية جدا وأستطيع أن أجتذب مَنْ أحب إلى المكان الذي أريد ..

- أنا لا أهتم بأمر الأحلام والرؤى واعتدت عليها ، وأيضا لا أعترف بعلوم الطاقة وما وراء الطبيعة من تجليات واستحقاقات وتخاطر و إسقاط نجمي وخلافه ..

- كيف لا تعترف بهذا العلم وأنت لديك مَلَكة مثل الرؤى والتنبؤات ؟!

- هذه أمور ربانية يا صديقي يهبها الله لمن يشاء فهناك من لديه حدس قوي ومن يمتلك حاسة سادسه، لكن هذه أمور طبيعية، ما أنكره أن يكون هذا علم وينفق عليه أموال ، أنا لا أعترف أن تلك الهبات لها تدريبات أو تمرينات تقويها ..

- لكن الشخص المتدين تتحقق أحلامه ..

- هل فرعون عندما رأى في منامه أن مولود من بني اسرائيل سوف يرث منه الحكم كان متديناً او مسلماً ، هي أمور لا علاقة لها بالدين ..

- سوف أخبرك بقصة لا أعتقد أنك ستصدقها ..

أخبرني عن يومك أولا ثم اِحْكِ لي هذه القصة ..

- لم يكن مختلفاً كثيرا عن يومك ، ذهبتُ إلى شقتي لأستريح لأجد وليد صديقي يطرق الباب ويقول إنه يبحث عني منذ يومين ..

- شيء جيد أن يكون هناك من يهتم بأمرك ويبحث عنك ..



- أنا من يتهرب منه ولا أحب الجلوس كثيرا معه ولكني أحبه كثيرا فهو صديقي منذ الطفولة ..

- أمرك غريب كيف تحبه وأصدقاء منذ الطفولة وتتهرب منه ؟!

- منذ فترة اتخذ وليد اتجاهات فكرية غير معتدلة وبدأ يطرح أسئلة غريبة ..

- لا تريد أن تقول إنه ملحد ؟!!

- إلى الآن لم أستطع تحديد هويته فحديثه معي دائما يتناول أفكار إنكار وجود إله للكون وغيرها من الأفكار الوجودية ..

- للأسف هذا النوع من الفكر انتشر كثيرا ولا بد من مواجهته ودراسته ..

- أنا أيضا أتفق معك ، قريبا سأجعلك تلتقي به ..

- أتمنى ذلك ..

- أي قصة ستنهيها اليوم ،عبد العزيز وإسراء أم أنت وسعاد

- هل نسيت قصتك ؟؟

- أي قصة ؟؟

- لا يمكن أن تكون سريع النسيان إلى هذه الدرجة ..

- ضحك عمرو بشده القصة التي اخبرتك عنها قبل الحديث عن وليد ، سأخبرك عن قصة زميل لي ولكن اسمح لي أن استرخِ فالموضوع غريب جدا ولا أريد أن أنسى منه أي تفصيل ..



- خذ راحتك ..

استلقى عمرو في السرير ونظرإلى سقف العنبر ليتذكر تفاصيل قصة زميله علي ..

- قبل أن أعمل هنا كنتُ أعمل في مستشفى آخر وكان لي زميل اسمه علي ، كان عمره أربعين ســـنة ولم يتزوج بعد،كان هادئ الطباع لا تسمع له صوتاً مبتسماً دائما وانطوائي، حاولتُ كثيرا التقربَ منه وبعد محاولات عدة أصـبحتْ بيننا صـداقة وبدأ كل منا يحكي للآخر بعض التفاصيل عن حياته وكان سؤالي له:" لماذا لم تتزوج إلى الآن ؟!"

قال لي إنه ينتظر فتاة أحلامه ، اعتدلتُ في جلستي وسألته أربعين سنة ولم تجد فتاة أحلامك بعد ؟!!

تنهد علي طويلاً ثم قال : أنا أنتظرها منذ عشرين عاما ..

- هل كنتم على علاقة وسافرت ؟

- لا ، أنا لم أرها في حياتي أصلا ..

- كيف تحب فتاة وأنت لا تعرفها ؟

- الأمر غريب إلى حد كبير يا عمرو وأنا لم أحكه لأحد من قبل ..

- أرجوك لا تعلقني بشيء وتتركني ..

- حبيبتي اسمها سهام، أراها منذ عشرين عاما في أحلامي تقريبا ثلاث مرات في الأسـبوع أو أكثر، أعرفها جيدا أعرف شـكلها وصـوتها واسـمها ولكني لا أعرف مكانها فدائما لقاؤنا في الحلم في أماكن لا أعرفها ..



- دكتور علي، أنت تمزح أكيد ..

- صدقني ما أقوله لك حقيقة ولذلك لا أخبر به أحداً لأنه لن يصدقه أحد ..

- وهل رؤية فتاة في الحلم يمنعك من الزواج ؟!!

- عشـرون سـنة يا صـديقي وهي تزورني ومن المؤكد أنني أيضا أزورها وهي تنتظرني ..

قاطع سـعيد حديث عمرو ، غريب جدا ما تحكي كيف يراها في منامه عشرين سنه ..

- القادم أعجب يا صديقي وهنا ما أريد أن أخبرك به عن الطاقة ..

- أكمل سريعا أريد أن أعرف نهاية هذه القصة ..

- بعد ذلك اليوم اختفى علي ولم يأتِ إلى العمل لمدة أسـبوع كامل ثم عاد ،كان ما زال محتفظا بانطوائيته ولكن البسمة قد اختفت ..

- ذهبتُ إليه لأطمئن عليه وأعرف منه سـبب انقطاعه عن العمل طيلة أسبوع كامل وعن سبب الإجهاد الذي يظهر على وجهه وجسده، حين عاد إلى العمل كان قد خسـر كثيرا من وزنه ويبدو عليه الإرهاق والمرض ..

- أين كنتَ طيلة أسبوع كامل ولماذا لم تطلب أجازة ؟!!..

نظر علي إلى نظرة حزن عميقة ولم ينطق بأية كلمة ،كانت نظرته مريبة أثارت قلقي وفضولي فبادرته بالسؤال :



لماذا يخيم الحزن على وجهك يا صديقي ؟! ..

- هل تتذكر اليوم الذي أخبرتك فيه عن ســـهام التي أعرفها فقط من خلال أحلامي ؟

- نعم أتذكر ..

تنهد علي طويلا وعاد إلى ذلك اليوم الغريب ..

حين عاد علي من العمل واستلقى في سريره لينعم بقسط من الراحة ، استغرق في النوم سريعا ولكنه وجد نفسه يستيقظ لا إراديا في التاسعة مساء ..

اتجه علي نحو دولابه وارتدى ملابسه ونزل إلى الشارع لا يعرف إلى أين يذهب لكن أقدامه ساقته إلى مكان لا يعرفه ولم تطأه من قبل ..

وصـــل علي إلى ناصـــية شـــارع ، وقف يتابع المارة لكنه إلى الآن لا يدرك لماذا اتي إلي هنا، علي الناصـية الأخرى من الشـارع كان هناك احتفال صغير لافتتاح أحد المحلات التجارية..

قرر علي الســـير تجاه الاحتفال لكنه اســـتفاق أخيرا وقرر العودة إلى حيث حتى ، لكن المفاجأة كانت خارج إطار المعقول ..

هناك صوت ناعم يناديه من خلفه: " أنت علي ؟!" ..

اســـتدار علي ناحية الصـــوت لتقع عينه علي عينيها تلك الجميلة التي يراها في منامه طوال حياته ، ارتفعت دقات قلبه وفارت الدماء في وجهه ، شـــعر أخيرا بذلك الإحســـاس الذي لم يعرف طعمه إلا في



الأحلام ، اقترب منها بأقدام مرتجفة وقلب مرتعد ، غير معقول أن تكوني أنت التي تزورينني منذ سنين :" أنتِ سهام ؟!"..

كانتْ المفاجأة صاعقة للحبيبين اللذيْن يلتقيان لأول مرة ..

اقترب علي منها أكثر هل معقول ما يحدث ؟!!، هل تعرفينني كما أعرفك ؟!! ، هل كنت أزورك في أحلامك ؟!!

أجابته بعيون دامعة أنتظرك منذ عشرين عاما، لا يمر يوما إلا وأراك في أحلامي ..

لم يستطع علي أن يغيِّر اتجاه بصره بعيدا عنها فهي كما يراها في أحلامه تماما بكل تفاصيلها ، وقف الحبيبان يتطلعان إلى بعضهما بنظرات مفعمة بالحب والحزن والألم وعيون مُلِئَت بالدموع ..

عاد علي من ذكرياته ناظرا إلى عمرو ، كانت في نفس عمري وقد وصلت إلى الأربعين أيضا ، قالها علي وقد غلبته دموعه..

قاطع سعيد عمرو ، قصة غريبة جدا ولكني لا أستبعد حدوثها،لأنني أيضا رأيت شيئاً مثل هذا، لكن ليس إلى هذه الدرجة فهناك فتاة لا أعرفها زارتني في منامي ثلاث مرات وأعرف شكلها أيضا ..

- لا بد أنها أيضا تراك ..

- الله أعلم، لكن ما يحكيه صديقك أمر عجيب ، أكمل ماذا حدث أثناء لقائهما وبعده ؟!!



تنهد عمرو طويلا، لك أن تتخيل عشرين عاما يعرف الاثنان بعضهما من خلال الأحلام وعندما يلتقيان يكون الوقت قد فات ووصل الاثنان إلى سن الأربعين ...

تابع علي حديثه بعد وصلت بكاء كتمها ومسح دموعه بيديه محاولا أن يخفيها عن صديقه ..

- نظرات الذهول في عيوننا لم تتوقف بل وازدادت حزنا وأسىً ،حينها انتابني الشعور الذي لم أعرفه من قبل، خفق قلبي وارتعد واحمَّر وجهي ووصلتْ درجة حرارتي حد الغليان أتصبب عرقا من كل مسام جسدي ، أصبحتُ غير قادر على التحكم في أجهزتي العصبية، أنظر إليها بشغف أريد أن احتضنها وكأنني أعرفها منذ زمن بعيد هي أيضا في نفس حالتي وكلٌ منا سارح بعقله وغير قادر على التحكم في تصرفاته ، فجأة دمعتْ أعيننا لا إراديا وأنا أسألها أين كنت انتظرتك طويلا ؟!!

- أنا أيضا كنتُ أنتظرك لكن الأوان قد فات ..

- لماذا فات الأوان فالعمر ما هو إلا رقم ...

- ليس لأننا تقدمنا في العمر، لكن لأنني امرأة متزوجة ولدي ثلاثة أبناء أعتقد أن فرصة اجتماعنا مستحيلة ..

- لم استطع أن أتمالك دموعي ، عشرون عاما وأنا أنتظر تلك اللحظة التي أراها فيها ويأتي اللقاء بعد فوات الأوان ..

- بكتْ سهام وانصرفتْ وأنا أيضا أدرت وجهي وابتعدت ، جلستُ علي ناصية الشارع غير قادر على الحركة أبكي مثل الأطفال وأتحسر على عمري الذي ضاع مني هباء في انتظار وهم ..



حاول عمر أن يواسي صديقه: " هذا قدرنا وما زال عندك الفرصة لتستمتع بحياتك فالحياة لن تتوقف وسيعوضك الله بما هو أجمل" ..

أدار عمرو وجهه ناحية سعيد ثم اعتدل في جلسته علي السرير ، لماذا يتلاعب بنا القدر هكذا يا صديقي ؟!!

- القدر لا يتلاعب بنا ياصديقي نحن من نختار أقدارنا ونتخذ قرارات خاطئة ثم نلوم القدر ونندب حظنا ، لو كان هناك من يجب عليه أن يلوم الزمن لكنت أنا أحق الناس بذلك، صديقك هو من اتخذ قرار الانعزال وانتظار الوهم وأنا مَنْ قررتُ أن اتزوج سعاد، أنا أيضا أحببت جميلة بكامل إرادتي ليس علي أحدنا أن يلوم القدر وهو في الأصل كان صاحب القرار..

أمَّا عن فقدان الأحبة مثلما فقدتُ أبي وفقدتَ أنت أمل فهذه أقدارنا ولحكمة يعلمها ربك فلا بد أن نُبتلى في أنفسنا ومَنْ نحب، لا بد أن يفتنك الله ليختبر إيمانك وقدرة تحملك وصبرك على الابتلاء، أمّا عن نتائج اختياراتنا فهذه الأمور يجب أن نسأل أنفسنا عنها ولا نلوم القدر..

أخبرتك أنني كان لي قصة مشابهة بقصة علي وأنني رأيتُ فتاةً في أحلامي أكثر مِنْ مرة وأعرف شكلها واسمها،غير أنني أعرف المكان الذي التقينا به في الحلم جيدا، كان بإمكاني أن أذهب إلى هذا المكان لانتظرها وربما كنت سأجدها هناك، لكنني لم أفعل ولم اهتم بالأمر وقررتُ الزواج من سعاد ربما لو كنتُ ذهبتُ إلى المكان كنت سأجدها وتتغير ملامح حياتي لكني لم أفعل ذلك ..

- لماذا لا تعتبر حديثنا اليوم عن علي هو إشارة لك أو رسالة لكي تذهب إلى هناك وتبحث عنها ؟؟



- هل تعتقد أن هذا ممكناً ؟

- لما لا ؟

- ربما فعلت مثلي وتزوجت مثلما فعلت ..

- أريدك أن تذهب إلى هذا المكان وتبحث عنها ..

- سأحاول ، ربما يحدث وأجدها هناك ..

دق هاتف سعيد ، استأذن عمرو في الرد على هاتفه واتجه نحو النافذة ليتحدث بصوت خافت لم يسمعه عمرو جيدا ..

شعر عمر أن سعيد لا يريده أن يستمع إلى المحادثة فخرج من العنبر ليحضر القهوة هذه المرة بنفسه حتى ينتهي سعيد من مكالمته ، عاد عمرو ليجد سعيد يضع هاتفه في جيبه وقد ظهرت علي وجهه علامات العبوث والغضب الشديد وهو ينفخ الهواء من فمه بقوة ..

عمرو : هل يمكنني أن أعرف إلى مَنْ كنتَ تتحدث ولماذا أنت غاضب إلى هذه الدرجة ؟

سعيد : كان اتصال من شخص لا أريد أن أتحدث إليه أبدا ولكن الاتصال كان من رقم غير مسجل على هاتفي ..

- من كان يحدثك ؟

- زميلة لي من المرحلة الثانوية وكانت زميلتي أيضا في الجامعة ..

- لماذا لا تريد أن تتحدث معها ؟

- إنها من أسوأ الشخصيات التي قابلتها في حياتي ..

- لماذا ؟

أخذ سعيد فنجان القهوة من يد عمرو..

دكتورة أسماء كانت زميلتي منذ الثانوية العامة ، رغم أنها كانتْ زميلة لي لم أكن أعرفها ولكنها كانت صـــديقة لجميلة وهي من عرفتني بها بعد أن التحقت بنفس الكلية معي ، أســـماء كانت طموحة جدا وهدفها منذ البداية أن تكمل مشوارها الدراسـي و تصبح أستاذة جامعية ولكن ذكائها وإمكاناتها كانت متواضـــعة وأنا لم يكن لدي هذا الطموح رغم تفوقي كانت أسـماء علي علاقة صـداقة بأحد المعيدين وكان يسـاعدها في الدراسة وإعداد الأبحاث الجامعية وبعد توطد علاقتنا وصداقتنا بعد العام الأول طلبتْ مني أن أساعدها في إعداد بعض الأبحاث وأن أشرح لها ما يصـعب عليها فهمه، كنتُ أسـاعدها لأنها كانت صـديقة عزيزة لجميلة حتي بعد انقطاع علاقتي بجميلة كنتُ دائما على اتصـــال معها وأسـاعدها بشكل دائم وبالفعل استمرت في صفوف الأوائل طيلة أعوام الدراســـة وانهالت عليَّ العزائم والزيارات من والدها لأنه كان يعرف أنني سببٌ في تفوقها..

استغناء أسـماء عن مسـاعدة المعيد هذا جعلت علاقتي معه مضـطربه وأصـبح يتعنت ضـدي ويأخذ الأمور على المحمل الشـخصـي ولم أكن أعرف أنه يحبها في صـمت وتقرب أسماء مني جعله يشعر بإحساس المهزوم وهو أستاذي وأنا طالب عنده ..

بالفعل استطاع أذيتي في أكثر من مادة غير أن أسماء لم تعد تحتاج إليه ووجدتْ ما تحتاجه من مساعدة عندي ، استطاعت أسماء الوصول إلى هدفها وحققتْ حلمها وتم تعيينها في الجامعة واتصـــلتُ عليها وهنأتها، بعد انتهاء الدراســة كانتْ تتحدثُ معي باسـتمرار في العام الأول من

تعيينها وبعدها توقفت و لم تعد تجيب على اتصالي ، حاولت الاطمئنان عليها من بعض زملائنا وكان الرد من الجميع أنها تفعل ذلك معهم جميعا ، تغيرتْ أسماء بعد أن وصلت إلى هدفها ، وبعد خمس سنوات من الانقطاع هي الآن تعاود الاتصال عليَّ لأنها تحتاج إلى المساعدة ..

عمرو : يا للحقارة كثيرون هؤلاء يا صديقي .

سعيد : للأسف هذا النموذج بالفعل متواجد كثيرا بيننا ولكني لم أكن أعلم أنها ستكون من هذا الصنف ..

- ماذا ستفعل بعد اتصالها ؟

- لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين يا صديقي ..

ابتسم عمرو ، أعتقد أنك ستلدغ مرة أخرى وستساعدها ..

- مستحيل أن يحدث ذلك مرة أخرى ..

- عليك أن تتناسى ولا يجب أن يزعجك هذا الاتصال أو يغضبك فأنت قد ساعدتها وفعلتَ ذلك بدون مقابل وهي مَنْ خسرت شخصاً مثلك، هذا النوع من الوصوليين لا يهمه سوى مصلحته فقط وحين يصل إلى هدفه لا يعترف بفضل أحد عليه ..

- لنترك أسماء جانبا وأخبرني بما أخفيته من قصة روح ..

- أخبرني أنت أولا ماذا حدث بين إسراء وعبد العزيز ..

- لا أنت أولا ..



- بل أنت ..

- هل سنتشاجر من يحكي أولا ؟

- أنا أخبرتك بقصة علي وسهام ..

- وأنا أخبرتك بقصتي مع أسماء ، إذاً يكون هذا دورك ..

- عندي حل وسط

مدَّ عمرو يده في جيبه وأخرج قطعة نقود وضعها علي كف يده ونظر إلى سعيد (ملك ام كتابة)

ضحك سعيد، هل سنتبارى علي من يبدأ الحديث أنت تهدم قوانين لعبتنا

- ابتسم عمرو لندع لعبتك جانبا ونبدأ لعبتي عليك أن تختار ملك أم كتابة ..

- سأختار الملك

- وأنا سأختار الكتابة

سألقي بالعملة ومَنْ يخسر يبدأ بالحديث عن الموضوع الذي يختاره الفائز ..

- موافق ، الفكرة جيدة وأعجبتني ولكن ليس لديك سوى موضوع واحد وهو قصة روح ..

- لديَّ الكثير وإذا كنتَ أنت الفائز سوف أعرض عليك أكثر من موضوع غير قصة روح لتختار من بينهم .



- فلنبدأ ، هيا ألقِ بالعملة في الهواء .

تابع الصديقان العملة وهي تسقط علي الأرض ..

صاح سعيد ، ملك أنا الفائز ..

عمرو:هيا اسألني عما تريد ..

- أخبرني بالجزء الذي تخفية من قصة روح ..

- هل تريد ما أخفيه أنا أم ما طلبتْ هي مني أن أخفيه ؟

- ما تخفيه أنت وما طلبتْ هي منك أن تخفيه معا ..

- عليك أن تختار .

- أخبرني أولا بما تخفيه أنت ولماذا تخفيه ؟!!

- هنالك واقعة حكتها لي روح أنا لم أصدقها ، لذلك لم أخبرك بها..

- أخبرني بها إذن ..

- عاد عمرو إلى سريره واسترخى ليتذكر ما قصّته عليه روح لا يريد أن ينسى أية تفاصيل ، عاد بذاكرته إلى الوراء ليتذكر روحاً وهي تحكي له ما دار بشقة والدها في إحدى المدن الجديدة ، نظر إلى سعيد تخيل أنك تجلس معنا واستمع إلى القصة من روح ..

- هيا بنا ..



روح : كان والدي رحمه الله، قد اشترى لنا شقة في مدينة السادس من أكتوبر، لكننا لم نكن نذهب إليها كثيرا ، الشقة كانت بالدور الأرضي في مدخل عمارة مكونة من ثلاثة طوابق ، أمام الشقة حديقة صغيرة علي جانبي المدخل ، كنا دائما نزرعها بالورود وبعض الخضروات وأشجار الفاكهة ، كانت الحديقة محاطة بسياج من الأسلاك ، كان يوم الجمعة وهو يوم تجمع العائلة ، جلسنا جميعا في الحديقة أنا وإخوتي وأبناؤنا وأشعل أخي نيراناً وبدأ يمارس هوايته في شوي اللحوم ، كنا في بداية الليل والجو صيفي جميل ، لاحظنا الأشجار والزرع في الحديقة يهتز، لكن ليس هناك هواء لتهتز الأشجار بهذه القوة، هناك سلكان من الأسلاك المحيطة بالحديقة تهتز دون البقية وكأن أحدا يتأرجح عليهما ، شاهدنا جميعا المنظر وبدأنا نسخر مما يحدث وفجأة توقفتْ الأسلاك والأشجار عن الاهتزاز..

نظر إليّ أخي هل أعجبك هذا :"حتى العفاريت خافت منك ومشيت هنتسلى علي مين دلوقتي " ..

جمعت بعض نوى البلح الذي كنا قد رميناه مع فضلات الطعام وأعطيت أخي بعضا منه ..

تساءل عن سبب إعطائي النوى له ..

- ماذا أفعل بنوى البلح ؟

- هيا نلعب معهم ، المكان الذي أشير إليك عليه ألقِ النوى فيه لنر ماذا سيحدث ..

أُعجب أخي باللعبة وبدأ يلقي النوى في الأماكن التي أشير إليها، وكلما رمى إحداها تهتز الأشجار والأسلاك ثم تهدأ ..



نـادى علينـا أبي توقفا عمـا تفعلان: "وإنتي يـاروح لايميهـا هو يوم وهتمشي "

- أبي هل تخاف منهم ؟؟

- لا أحد يخاف ممن هو أقل منه ..

قاطعتْ أمي الحديث من شـرفة المنزل: " عفريت ،هو فين وأنا أحرقه "

عمَّ الضحك والسخرية المكان الجميع يتحدثون باستهزاء ، خرجتْ أمي من الشقة لتجلس معنا ، أصبحت الشقة فارغة ليس بها أحد فالجميع قد حضر إلى الحديقة ليستمتع بالجلسة التي عمها الضحك والسخرية ..

فجأة سـمعنا أصـواتاً داخل الشـقة وكأن أحداً يضـرب الأرض بأقدامه، المصـــباح الكهربـائي المعلق في الشـــرفة بدأ يهتز بقوة حتى ارتطم بالسقف وكُسر..

اتجهتْ امي نحو الشـــقة وهي تنـادي " عفريت إيه لو عفريت راجل يظهر لي " وصلتْ أمي إلى باب الشقة ثم عادتْ تصرخ :" لم أستطع أن أضع قدمي داخل الشقة " ..

جلسنا نضحك ولكنها لم تكن على ما يرام وبدأتْ تظهر عليها أعراض الخوف فالأمر لم يعد هزليا أو سخرية ، طلبتُ منهم أن يتجاهلوا الأمر ولا يلقون بـالاً إلى ما يحدث ، حتى جاء ميعاد النوم ودخل كلٌ منا إلى غرفته وجلســتُ أنا وأخي في غرفة الاســتقبال كلٌ منا مســتلقٍ على كرسيه وذهبتْ اختي لتحضر لنا الشاي ..



لاحظتُ إبراهيم أخي ينظر إليَّ نظرات غريبة وكأنني عدوة له ، تجاهلتُ نظراته وبدأتُ أقرأ بعض الأذكار وفجأة وجدتُ مرآة أمام وجهي مع صرخات إبراهيم : "انظري هنا هذه ليست أنتِ "..

أسقطت المرآه من يده وانهلت عليه ضربا ، ثم ذهبتُ إلى المطبخ أبحث عن سكين لأقتله ، استيقظ كل من في المنزل وأمسكوا بي حتي عدتُ إلى طبيعتي ، ولكني لم أهدأ بعد ، أريد أن أرى دمه يسيل أمامي ، شعرتُ وكأنني شخصان أحدهما يريد قتل إبراهيم والآخر يمنعه ..

لكي أمنع ما قد يحدث قررت أن أصطحب أبنائي وأعود إلى بيتي ، كان الوقت قد تأخر وتخطي منتصف الليل ، منعتني أمي من الانصراف ولكني ما زلت مصرة، انهالت عليَّ بالضرب والسباب..

احتضنت نفسي وضممت ذراعيَّ وصرختُ فيهم :"أبعدوها عني لن أتمالك نفسي كثيرا "..

لكنها ما زالت مستمرة في ضربي وإهانتي ، أخذتُ أطفالي وتركتُ المنزل وخرجتُ إلى الشارع أبحث عن سيارة ..

خرج معي إخوتي ما عدا إبراهيم ، لم تمر دقيقة ووجدتُ ابنة أختي قادمة من بعيد تجري مسرعة :" إلحقونا خالو بيموت "

عدتُ مسرعة نحو المنزل لأجد أخي وقد تشنجتْ أطرافه وينتفض جسده ، وبمجرد دخولي إلى الغرفة ارتفع جسده بالكامل في الهواء ثم سقط علي الأرض ، اتجهتُ مسرعة نحوه واحتضنته حتي هدأ ..

نسيت أن أخبرك أن أخي إبراهيم كان لدية عاشقة من العالم الآخر وقد منعته من الزواج حتى أنه أتم عامه السابع والثلاثين ولم يستطع الزواج حتى الآن ..



توقف عمرو عن الكلام ونظر إلى سعيد: " هل يستطيع الجن منع أحد من الزواج "

سعيد : سمعتُ عن قصص كثيرة مشابهة لعشق الجن للإنس ولكني لم أرَ حالات مشابهة ، ربما تكون روح صادقة ..

- هل تعتقد أن ما قصّته عليّ غير حقيقي ؟!

- أعتقد أن هناك بعض المبالغات فيما روته عليك روح ، ولكن الأمر جائز ، ماذا عن تحليلك النفساني لقصة روح ؟!

- مِنْ الناحية النفسانية ما حكته روح لي ليس له أي تفسير ، وأنا عجزت تماما أن أجد تفسيراً نفسانياً لحالتها لذلك أعتقد انها لم تكذب علي ولم تبالغ في سرد أحداث قصتها ، وقفتْ عاجزا أمام حالتها مثلما عجزت أيضا أن أجد تفسيراً لما حدث بين علي وسهام ، إذا عرضتَ تلك الحالات على أي طبيب نفساني سيكون تفسيره أن كل ذلك من وحي خيالهم ، ولكني أحيانا أضع علم النفس جانبا لأن خبايا النفس البشرية كثيرة ومعقدة..

من ناحية روح أعتقد أن هناك الكثير غيرها ، أمّا عن علي وسهام فهي حالة نادرة،لكنها أيضا ليس لها أي تفسير من الناحية العلمية ..

- أكمل إذاً ماذا حدث بعد ذلك ؟

- انصرفتْ روح ..



- روح انصـــرفت منذ زمن، بعيد أنت تروي ما لم تروهِ في المرة الأولي من حديثك عن روح ، ولكن ليس الآن أعتقد أن هذا دوري لأعيد عليك السؤال ..

- دون أن تسأل سأخبرك ماذا حدث بين إسراء وعبد العزيز ..

- كنتُ أريد أن أعرف كيف انتهت قصتك مع سعاد ولكن لا مانع من أن نعود إلى إسراء وعبد العزيز ..

- لا تستعجل علي قصتي مع سعاد ما زال بها الكثير ..

- بدأتَ تحب الثرثرة وإطالة الحديث ، هيا عد سريعا إلى إسراء وعبد العزيز ..

ابتسم سعيد وعاد إلى مكانه المفضل واستند إلى النافذة مشعلا سيجارته وحاملا فنجانه، دقق نظره لبرهة نحو الحديقة ثم أعاد النظر إلى عمرو ...

عبد العزيز كان في موقف لا يحسد عليه ورغم استعداده للتضحية من أجلي ورفضـي التام لفكرة الارتباط بإسـراء إلا أنه عقد العزم على أن يقوم بدور الشـمعة التي تحترق من أجل الآخرين، ويفعل ما بوسـعه لتقريب المسـافات بيني وبين إسـراء ، ولكن إسـراء لم تمنحه الفرصـة رغم أن الحديث بينهما أصبح دائماً وبشكل يومي..

طيلة شـهرين وإسـراء تتحدث مع عبد العزيز ، لا شـيء عندها غير حبها لي والبوح إلى عبد العزيز بأسـرارها، غير أنها أخبرته بأشـياء كثيرة عن جميلة لم يكن يعلمها ولم أكن أنا شـخصـيا أعرفها رغم ارتباطنا الذي دام لسنوات ..



- أشياء لا تعرفها أنت عن جميلة ؟!!!

- لا تتعجب الآن فالقادم أعجب يا صديقي ..

عبد العزيز كان في موقف صـــعب فرغم حبه لإســـراء إلا أنه يحاول التهرب منها وعدم الرد على اتصـــالاتها ولكنه لم يقدر على فعل ذلك ،كان دائما يخبرني بما دار بينهم ، قررت إســـراء المحافظة على عبد العزيز كصـديق مثلما كانا في الســابق فهي تحب الحديث معه وتعتبره أخاً لها ، ولكن المسكينة إلى الآن لم تكتشف بعد أنه يحبها ، كان عبد العزيز يحاول دائما تغيير مجرى الحديث بينهما من موضوع حبها لي إلى أي موضوع آخرإلى أن أصبح حديثهما عن علاقتي السابقة بجميلة ، وقالت إسراء ما لم أستطع تصديقه لا أنا ولا عبد العزيز..

بداية العلاقة بيني وبين جميلة كما أخبرتك في الســابق كانت منذ ســن المراهقة وكانت مشاعرنا نقية وبريئة ، إسراء كان لها رأي آخر وكان عندها الكثير مما تخفيه من أســرار عن صــديقتها . في أحد أيام العمل لاحظت تغير عبد العزيز، فلأول مرة لا يخبرني بما قالته إســـراء ليلة أمس ، رغم أنني كنتُ أَمَلُّ من حديثه عما يدور في مكالماتهم لأنني أعلم أنه يريد الحديث كثيرا عن إسراء ليجعلني أفكر بها واهتم لأمرها ، شخص غريب ونادر يفعل كل هذا رغم أنه يحبها ..

في ذلك اليوم لم أسأله عن مكالمته مع إسراء لأن مزاجه لم يكن بحالة جيدة ،أثار قلقي عليه لأنني لم أعهده على هذه الحال أبدا فهو يبتســـم ويمزح حتى في عز أزماته ، سألته عن الوالد والوالدة وأسرته ، لكنه طمأنني وأخبرني أن الجميع بخير



- إذاً لماذا أنت علي هذه الحال ؟!

- لا شيء أنا بخير دقائق وسأعود إلى طبيعتي ..

عندها علمتُ أن عبد العزيز يخفي عني شيئا ما ..

- أخبرني ماذا تخبئ عني ؟!

- لا شيء يا صديقي ..

- هل تحدثتَ إلي إسراء بالأمس ؟

- لا ، لم أتحدث معها ..

- عبد العزيز ، أنت تكذب ، ماذا قالت لك إسراء ؟!

- قالت أشياء لم أصدقها ولا تضغط علي أكثر من ذلك .

- لن اضغط عليك ولكنك ستخبرني بكل شيء ..

- للأسف ، لن أستطيع أن أُخفي عليك شيئاً ، ولكن لديَّ سؤال ، هل كنت تعرف كل شيء عن جميلة ؟!

- بالطبع كنتُ أعرف كل شيء عنها ..

- هل كان عندك علم بصداقاتها وغرامياتها ؟!

- أية صـــداقات وأية غراميات، جميلة لم يكن لها علاقة بأحد غيري فنحن مرتبطان منذ الثانوية العامة وأنت كنت حاضر لكل الأحداث ..

- هل كنت دائما معها داخل الجامعة ؟



- بالتأكيد لا ، كنت أراها مرتين أو ثلاث بالأسبوع لأن ظروف دراستي تختلف عنها ، لماذا كل هذه الأسئلة ؟!

ماذا تريد أن تقول؟!

- أعتقد أنك فهمتَ ما أريد قوله ولا تحتاج مني إلى توضيح أكثر..

- لا ، لم أفهم شيئاً ، هات ما عندك يا صديقي ..

- أولا يجب أن تحمد ربك لأنه نجاك منها وإذا كنت تريد معرفة التفاصيل عليك أن تتصل بإسراء ..

- تعرف أنني لن أتصل بإسراء ..

- إسراء أحق الناس بحبك هي مَنْ أحبتك بصدق وإخلاص ، أنت كنت تحب أفعى لم تحبك يوما ما ، لماذا وهبتَها كل هذا الحب ، فقد كانت تتحدث معك طوال الليل وفي الصباح تواعد الآخرين ، هل تعرف أنها كانت مرتبطة بالشخص الذي تزوجته قبل خطبتهما بعام ؟!

ألم تسأل نفسك يوماً كيف وافقت على العريس في يوم واحد ، ألم تسأل نفسك لماذا تخلت عنك بدون سابق إنذار ودون أن تخطيء يوما في حقها ، هل كنتَ أحمقاً إلى هذه الدرجة ، آسف على وصمك بالأحمق يا صديقي ، ولكنك تعرف كم أحبك وأعتبرك أخي الذي لم تلده أمي ، كيف كنتَ أعمى إلى هذه الدرجة ؟!!

سعيد أذكى شخص تعاملتُ معه في حياتي ، يظهر بهذا الضعف والغباء ، هل أعمى حبها بصرك وبصيرتك إلى هذا الحد ، كيف كنتَ تأمن إلى هذه الملعونة؟! ..



غضـــب عبد العزيز وبدأ يكزُّ علي أســـنانه من الغيظ ، وأنا في حالة ذهول مما أسـمع ، أوشـكت الدموع علي السـقوط من عيني ولكنني ما زلت أنظر إلى عبد العزيز الذي صمت فجأة وجلس على الكرسي أمام مكتبنا في المحل ..

- لا بد أن إسراء تكذب ..

- إسـراء لا تكذب يا صـديقي وأنت تعرف أنها صـادقة وتعلم أيضـا أن كل ما تخفية جميلة من أسرار تعلم به إسراء ..

- لماذا لم تخبرني بذلك في السابق ؟!

- هل كنت ستصدقها ؟!

- لم تكن يوما تطمئن إلى جميلة يا ســـعيد ، أعرفك جدا وأعرف أنك ظللتَ طيلة ســـنوات ارتباطك بجميلة تبحث عن الحلقة المفقودة بينكم ولم تجدها ولم تهتدِ إليها،لأنك كنت تحبها بدون عقل وبدون حساب..

هل وجدتَ ضالتك يا صديقي ؟!

حبيبتك لم تحبك ، بل كانت تفعل مع الكثيرين مثلما تفعل معك ، كانت علاقاتها كثيرة ولكنها كانت أكثر عملية فقد علقت الكثيرين وأنت واحدٌ منهم، ألقت بطُعمها إلى الجميع وانتظرتْ الفائز، والفائز هو من يكون جاهزاً للزواج فلو كنتَ ســـبقتَ أحدهم بالغرفتين والصـــالة لكنتَ أنت الفائز ، هكذا كـانت حبيبتك تدير مبارياتها الغرامية مع الجميع ، كنتَ أنت الأول ولكنك لم تكن الوحيد يا صديقي ..



ركز سعيد نظراته في أعين عمرو : ما قاله عبد العزيز كان صحيحا ، فعلا كنتُ دائما أشعر بعدم اطمئنان من ناحية جميلة رغم عشقي لها كنت أشعر أن هناك شيئاً خطأً ولكني لم أهتدِ إليه ، كان يجب عليَّ إعادة حساباتي بعد أن قررتْ هي الارتباط بالشخص الذي تقدم لخطبتها ووافقتْ عليه دون مبرر قوي أو صريح ..

عمرو : عبد العزيز كان محقا في كل ما وصفك به من غباء ، ولكني ألتمس لك العذر فقد تعلقتَ بها وأنت في سن صغيرة ولم يكن لديك أية تجارب سابقة تجعلك على دراية بألاعيب النساء ..

- أية ألاعيب؟! من يستطيع فعل ما فعلته جميلة ، كيف يمكن لفتاةأ تكون بهذه الحنكة والذكاء والقدرة علي التلاعب بقلوب الرجال إلى هذه الدرجة من العبثية ..

- الكثيرات منهن يستطعن فعل ذلك وما هو أصعب من ذلك بكل سهولة ويسر ، فالمرأة لديها الكثير من الأسلحة الفتاكة وإذا أحسنتْ استخدامها فلن يقدر رجل علي وجه الأرض أن يضاهيها في القوة ، الرجال وجِدوا علي هذا الكوكب لإكمال العدد فقط يا صديقي .

ابتسمَ سعيد ، وحاول أن يتمالك ضحكاته رغم ما حلَّ به من ألم الذكرى ولكن تعبير صديقه أن الرجال ما هم إلا إكمالاً للعدد أصابه بحالة هستيرية من الضحك أخرجته من حالة البؤس التي كانت قد حلَّت به ..

عمرو : دع عنك هذه الذكريات القذرة واسمح لي لا أريد أن أعرف البقية ولكن أخبرني ، ماذا فعلتَ بعد هذا اليوم ؟!

سعيد : قررتُ الارتباط ..

عمرو : بإسراء ؟!!



سعيد : قررت الارتباط لأتناسى ما حلَّ بي من تجربة جميلة ، اعتقدتُ أنني إذا ارتبطتُ بأخرى ستنسيني إياها ، إسراء كانت الخيار المستحيل لأنني أرى فيها شيئاً من جميلة،لأنها كانت صديقتها المقربة ، ولسبب آخر أقوى وهو حب عبد العزيز لها وأنني كنتُ أخبرتها أنني قد ارتبطتُ ومن المؤكد أنها فهمت من ذلك أنها خارج حساباتي ، من ناحية أخرى حين أقرر أنا الارتباط سأدفع عن صديقي الحرج إذا ارتبط بها ، هكذا كانت حسابتي من جميع زوايا الموضوع....

بعد أيام كانت الوالدة قد اختارت لي سعاداً وتمتْ خطبتنا وبداية علاقتنا كما أخبرتك سابقا ..

عمرو : هل نسيت جميلة ؟!

سعيد : بالطبع لا، حتى أن معاملة سعاد معي أثارت جروحي ونبشت كل ما غطاها من ذكريات لتعود إلى نفس درجة الألم أو أكثر ..

- ولماذا لا تقول إنك لم تحب سعاد أساسا ولم تحاول أن تنسى جميلة؟!

- قلتُ لك لم أحب سعاداً من البداية ، لكني لم أسيء إليها يوما ما ، كنتُ ودودا معها وأعاملها بكل لين ومودة ، منذ الخطبة وأنا لم أحبها لما رأيت منها من طباع سيئة وصفات لا أستطيع تحملها ..

- ولماذا تزوجتها رغم عدم تفاهمكما منذ بداية الخطبة ؟

-ستضحك إذا أخبرتك لماذا تزوجتها .



- إرضاءً لأمك ؟!

- لا ،لم أتزوجها إرضاءً لأمي،لكني تزوجتها بدافع الشفقة والمساعدة ..

- ألم أقل لك منذ قليل إن عبد العزيز كان صـــادقا عندما وصـــمك بالغباء...

قطع حديث الصديقين أصابع عطيه التي طرقت الباب بعنف بضربات متتالية ..

دون أن يتحرك عمرو من مكانه: " ماذا تريد يا قدري الأسـود في هذا المستشفى " ..

رد عطيه بصوت يظهر عليه الإغتياظ : " دكتور عاصم يستأذنك أن تشرفه في مكتبه "..

قالها عطيه ثم انصرف ولم ينتظر رد عمرو ..

سعيد : عاصم هذا الذي طلب الجلوس معك بالأمس ؟!

عمرو : لا ، الآخر دكتور خالد مُدَّعي الفضيلة ..

- لماذا تلقبه بهذا الاسم ؟

- إنسـان متصـنع وأنا لا أحب هذا النوع من البشـر وأكره هؤلاء الذين يتظاهرون بالتدين والورع وهم في الحقيقة أسوأمما يبدون عليه .

- يبدو أنك لا تحب أحداً هنا ؟!

- بالعكس الكل أحبائي، ما عدا عطيه الفضــــولي وخالد مدعي النبوة هذا ..

- وماذا عن عاصم الذي أرسل إليك عطية ، بماذا تلقبه ؟

- عاصم هذا من الشخصيات النادرة ،هو شاب في نهاية الثلاثينيات، شـــخص رائع لا يترك باباً يدخل الســـرور والســـعادة على الناس إلا ويطرقه ، فهو يتكفل بنفقات خمس أسر كاملة، يرسل إليهم راتباً شهرياً ولا يتأخر عليهم يوماً، حتى أنه في بعض الأحيان لا يملك المال الكافي ويستلف مني ..

- إذا كان قد أخبرك أنه يفعل الخير لماذا لا تعتبره متصنعاً مثل خالد؟!

- لم يخبرني، أنا الذي ســـألته لماذا يحتاج إلى أن يقترض المال من الآخرين رغم دخله المرتفع، وعندما شـــعر أنني أشـــك في تصـــرفاته أخبرني بذلك وطلبتُ منه الذهاب معه وأن أشـــاركه في هذه الأعمال الخيرة..

كل ذلك غير أنه رجل كريم ومهذب لا ترى عليه أية علامات من علامات التدين فهو لا يطلق لحيته ولا يحمل سبحة أو سواكاً ولا يمشي حاملا المصـــحف في يده ولا يتعمد الحديث باللغة العربية لإظهار فصــاحته ، هو شــخص نقي ولدية قناعة ومبدأ، إن من يريد الوصــول إلى الله عليه أن يعمل ويجتهد ويكون نافعاً للناس ولا يختصر الدين في الصــلاة والصــيام ، رغم انه يحافظ علي صــلاته ويؤدي كل الفرائض الواجبة إلا أنه دائما يرفض التظاهر بالتدين ، ما جعله يعيد النظر إلى النواحي الدينية في حياته، كان في بعثة إلى إيطاليا وقابل شـــخصـــاً



إيطالياً في محطة المترو ، لاحظ عاصم أن الرجل ينظر إليه باهتمام ، فبادره بالتحية وبدأ بينهم حديث غيَّر مجرى حياة عاصم وطريقة تفكيره ، كان سؤال الرجل الإيطالي الذي بدأ يظهر علي شعره علامات الشيب إلى عاصم ..

ما جنسيتك ؟!

عاصم : مصري ..

الرجل : رائع يجب أن تفتخر أنك مصري ، وما ديانتك؟

عاصم : مسلم

عبس الرجل وأدار وجهه عن عاصم الذي لم يحاول الدخول في جدال مع الرجل ليثبت له أن الإسلام دين محبة وسلام وليس دين إرهاب ، لكن الرجل أعاد النظر إليه قائلا :" لا تعتقد أنني أصدق ما يشاع من أن دينكم دين إرهاب فأنا أرى المسلمين هنا مسالمين ومواطنين صالحين ، لكن اعتراضي على دينكم أنه دين يعوق العمل "

كان رد عاصم الطبيعي :"لماذا ترى ديننا يعوق العمل ؟!"..

كان رد الرجل سريعا ومفاجئاً لعاصم، قال بغضب:" لدي عمال مصريون ومن شمال إفريقيا يذهبون إلى الصلاة مرتين خلال أوقات العمل وكل مرة تستغرق صلاتهم ساعه كاملة ، وهناك شهر في السنه لا أجد من ورائهم أي ناتج بحجة أنهم صائمون وأيضا يستغرقون أوقات أطول في الصلاة وقراءة القرآن "

حاول عاصم أن يوضح للرجل أن الإسلام يحثُّ على إتقان العمل ، لكن الرجل كانت لديه قناعة كاملة بما يقول غير أن كلامه نابع من



تجربة شخصية ، كان لهذا الحوار الذي دار لدقائق بين عاصم والرجل الإيطـالي أثرٌ كبيرٌ على عـاصـــم ليعيد ترتيب أفكـاره ومبادئه إلى أن انتهى إلى ما هو عليه الآن من مثالية..

رغم تدينه لا يتظاهر بذلك ورغم ما يبذله من أعمال خير فهو لا يطلع أحداً على ما بينه وبين ربه ولا يفرض رأيه ولا يتسلط ولا يعين نفسه واصياً علي أحد، هو يتعبد لله بطريقته ولا يطلع أحداً على ما بينه وبين الله ســواء من عبادات شــعائرية أو أعمال خيرية أو غيرها ، لذلك أنا أحبه كثيرا وأستمتع بالجلوس معه ..

سعيد : أتركك أنا وأعود إلى المنزل لتأخذ راحتك مع زميلك ..

عمرو : لا، ليس الآن ، اليوم هو نبطشية عاصم وسيكون لديَّ متسع كي أقضي معه وقتاً طويلاً ..

- ربما يأتي هو إلى هنا ؟!

- لا ، مســتحيل لقد أرســل عطيه لأنه يعرف أنني أحب أن أجلس هنا بمفردي ولا يريد أن يتعدى على حريتي لذلك طلب مني الحضـور إلى مكتبه ليترك لي حرية الاختيار في أن أذهب أو لا ..

- شخصٌ رائع ، هذه النوعية من البشر أصبحت نادرة ..

لا بد أنك تفضل الجلوس مع عاصم لأن بينكم تطابق فكري أو تقارب في وجهات النظر ..

عمرو : أحيانا نختلف ولكن اختلافنا في الرأي لم يفسـد أبداً علاقتنا أو يؤثر عليها سلبا ..



- لماذا لا تذهب إليه وترى ماذا يريد وأنا أنتظرك هنا ؟!

- أعرف ماذا يريد ، إمَّا أن يذكرني بموعد زيارتنا غدا إلى دار المسنين، أو أن خالداً اشتكاني عنده بعد ما حدث بيننا بالأمس وأعتقد أن خالداً ربما يكون هناك معه وينتظرني ...

- بحسب ما وصفتَ به خالداً وعاصماً أعتقد أنهما لن يكونا متفقيْن لأن يجلسا سويا أو يتدخل عاصم للإصلاح بينك وبين خالد ..

- عاصم لديه القدرة علي تحمل أمثال خالد، لديه مَلَكة نادرة على التعامل مع كل الأنواع بعكسي، فأنا لا أطيق الحمقى والمنافقين ومُدّعي الفضيلة والتدين ..

- لا بد أن تجدَ حلاً لهذه المشكلة لأن طريقتك هذه ستجلب لك الكثير من المتاعب وربما الأعداء ..

- لا اهتم بهذه الأمور فأنا أفعل ما أريد وما يريحني ولا أجبر أحداً على التعامل معي ولا أفرض رأيي على أحد ، وكلٌ منا له عيوب نحن لسنا ملائكة ، فمن يريد صداقتي على هذه الحال أهلا به ..

- إنك شخص مثير للاهتمام ، قلائل مَنْ يتصرفون بهذه التلقائية..

- في السابق كنت أهتم بأمور الآخرين وأحاول أن أخفي تلك العيوب في شخصيتي ولكني وجدتُ الأمر صعباً وأنك مهما فعلتَ لن تنالَ رضا الجميع ولن تسلم من كلام الناس ، فما فائدة أن تحاول أن تكون ودودا مع الجميع وتتقبل انتقادهم وتتفادى الاصطدام بهم وفي النهاية لا تجد منهم معاملة بالمثل ، لذلك قررت أن أحيا علي طريقتي ولا أهتم بآراء الآخرين بي ولا أعير انتقادهم أي اهتمام ..



- منذ متى تتبع هذا المنهج في الحياة ؟

- منذ زمن ليس بقريب ..

- لا بد أن لديك الكثير من الأعداء ..

- ليسوا كثيرين لأنني دائما أتجنب الحمقى والأغبياء ، وإذا كنتَ تقصد خالداً فهو ليس عدوي، هو بالنهاية زميلي وأتعامل معه في حدود العمل، لكنه يريد التدخل في شؤوني الخاصة ويراني دائما على معصية ويرى نفسه من أهل الجنة ، هذا الفصيل من الناس لا أحب التعامل معه حتى وإن كان شخصا جيدا..

كثيرا ما كنتُ أتناقش معه بهدوء وأتقبل رأيه منعا لأن ينشب بيننا خلاف، لكنني كنت دائما أرى جدالي معه جدالا فارغا لا فائدة منه ، حينما تتناقش مع شخص في أمور مهمة ومسائل تتعلق بالدين لا بد أن يكون هذا الشخص مُطّلع ولديه من العلم ما ينفعك به ، أمّا خالد فلا يقرأ ، ويكتفي بالجلوس أمام القنوات الدينية ليستمع إلى بعض الشيوخ ويأتي ليُسْمعنا ما حفظ، ولم يكلّف نفسه يوما قراءة كتاب ليتأكد مما سمعه إن كان صحيحا أم لا ..

تخيل أن خالداً أهداني نسخة من القرآن الكريم فقبلتها منه بكل سعادة وكانت نسخة جيدة جدا وقيمة ، قال إن أخا له أرسل إليه مجموعة نسخ من السعودية..

حين فتحتُ الهدية وبدأتُ أتأمل جمال الطباعة وألوانها فوجئت بعبارة عجيبة كان مضمونها أن هذه النسخة من المصحف قد أعدها وقام بطباعتها مجموعة خيّرة من أتباع الفرقة الناجية ..



- وما المقصود بالفرقة الناجية ؟!

- كان هذا سـؤالي لخالد فيما بعد، وكان رده أنها تم إعدادها بواسـطة أهل السـنة والجماعة ، وكان سـؤالي :" كيف علموا أنهم هم الفرقة الناجية وكيف يتجرأ أحد علي وصف نفسه بالناجي وأن باقي المذاهب في النار ؟"..

اسـتفزني رد خالد الذي كان مقتنعاً أن السـلفية والوهابية هم الفرقة الناجية والباقي في النار ، وعندما سـألته وما قولك في الأشـاعرة والمعتزلة أو حتى الأزهر ولن أسألك عن الشيعة لأني أعرف ردك ، ارتبك خالد ولم يجب على سـؤالي ومن هنا بدأتْ خلافاتنا تتفاقم ، فأمثال خالد إذا لم تفعل مثلما يفعلوا سـينظرون إليك من منطلق غريب وإن لم يُكفّروك سينظرون إليك على أنك عاصٍ ويجب أن تستتاب ..

الأدهى من ذلك أنه يعتبرني منكراً للسـنة لمجرد أنني أنكرت بعض الأحاديث المكذوبة والمفتراه ، اعتبرني فاسـقاً ومرتداً ومُنكراً للسـنة رغم أنه لم يقرأ يوما ما في أحد الصحاح وليس لديه علم بما حَدثّته عنه لذلك تجنبته واعتزلت النقاش معه ..

- ولماذا اعتبرت الأحاديث التي ذكرتها له ضـعيفة أو مكذوبة ربما تكون صحيحة وهو على صواب ؟!

- تَعمدتُ أن أذكر له أحاديث معروفٌ أنها مكذوبة حتى كتب التراث تشـهد بذلك لأعرف إذا كان لديه علم بالأمور التي يتحدث عنها باستمرار أم أنه مجرد ناقل بالسماع فقط ، وكان ظني في محله ، هو مجرد ناقل بلا عقل ..



- للأسف هذا النوع من الفكر قد انتشر مثلما انتشر فكر الإلحاد ولا بد أن يكون هناك وقفة فكلاهما على خطأ ..

لندع خالد جانبا ، منذ قليل قلت إن عاصـماً يريد اصـطحابك إلى دار المسنين ماذا لديكم هناك ؟!

- لدينا عم حسين .

- مَنْ عم حسين ؟

- رجلٌ مسـنٌ له قصـة تدمي القلوب أودعه أبناؤه دار المسـنين ولم يتكفلوا بمصـاريف علاجه ولا نفقاته ونتكفل به أنا وعاصـم ونزوره مرة أو مرتين في الأسبوع .

- أخبرني عن قصته ..

- عم حسـين كان يعمل في مجال المقاولات وسـافرإلى إحدى دول الخليج تزوج وأنجب ثلاثة أبناء ، ولديْن وبنتاً ، جمع كثيرا من المال وأنفق علي أبنائه بسخاء، فجميعهم حاصل علي شهادات دراسية عليا..

توفيتْ زوجته منذ ثلاثة أعوام بعد رحلة عمر طويلة شـاركته فيها من أجل تعليم أبنائهم وتأمين مستقبلهم ، وكان جزاؤه في النهاية أن يُلقى به إلى دار لرعاية المسنين ..

- أكمل ..

- سـوف أكمل لا تقلق ولكن بعد أن أحضـر فنجانيِّ القهوة ، انتظرني دقائق ...



خرج عمرو هذه المرة ليحضــر القهوة بنفســه ليلتقي بعطية في طرقة المستشفى ويسأله هل يعرف لماذا يريده دكتور عاصم ، وكان جواب عطية أن خالداً وعاصـماً كانا ينتظرانه في مكتب عاصـم ومنذ دقائق خرج خالد غاضبا ..

اتجه عمرو نحو مكتب عاصــم ليرى ماذا حدث ، ليجد عاصــماً وقد ظهرت عليه أعراض الغضب ..

بادره عمرو بالسؤال :لماذا أنت غاضب ؟!..

لأول مرة يرى عمرو زميله غاضباً إلى هذه الدرجة ..

عاصم : خالد كان هنا منذ دقائق وأرسلت إليك لكي أُصلح ما فسد بينكم وعندما تأخرتَ أنت انصرف ...

عمرو : وهل هذا شيء يستحق كل هذا الغضب ؟!!

- لا أعرف لماذا تثير كل هذه المشـــاكل وتتناقش مع خالد ولا تكتفي حتى بالنقاش، ما شأنك أنت بحياته الشخصية ؟!

- مَنْ قال إنني تدخلتُ في أمور شخصية خاصة به ؟!

- ألم تخبره إنك على علم بقصته مع زميلته التي حملت منه سفاحا، من أين أتيتَ بهذه المعلومة وكيف تتهمه بهذه الفعلة ؟!!



- هو من تعدى على حريتي الشـــخصـــية وهو يعلم جيدا أنني لا أحب الحديث معه ويتعدى حدود النصـــح بتدخله في أمور تخصـــني ويعيّن نفسـه واصـياً عليّ ، لم أسـتطع إيجاد طريقة للتخلص منه إلا أن أخبره أنني على علم بماضيه القذر كي يتوقف عن تقمص شخصية الواعظ ..

- عمرو، عليك أن تنهي أي خلاف بينك وبين خـالـد في أقرب وقت، فخالد حين جاء إلى مكتبي لم يأتِ للصلح، بل جاء للتهديد ..

- أي تهديد ؟! ..

رائع، سـيكون لدينا غدا لقاء مع مدير المسـتشـفى لكي يعرف كل منا حدوده ..

- اخرج من هنا ياعمرو ، لا أريد أن أراك ، سـتظل دائما هكذا مثيراً للجدل ومُفتعِل للمشــكلات ، هيا اغرب عن وجهي وحل مشــاكلك مع زميلك وجهز نفسك غدا، لدينا زيارة لعم حسين ..

تقبل عمرو مزاح صـديقه وانصـرف مسـرعا فقد تأخر على الصـديق الذي ينتظره في العنبر ، دفع الباب ليجد ســعيداً هائما في أفكاره أمام النافذة وغير مدرك للسيجارة التي انطفئت في يده ، جلس علي السرير ولم يُحرك ســاكناً كي لا يقطع شــرود الصــديق الذي يكاد يكون فاقدا للوعي ، أدرك ســعيد أخيرا أن ســيجارته قد انطفئت ألقاها في الهواء وتابع سقوطها علي الأرض ، مَدَّ رأسه من النافذة ونظر إلى الأسفل ، لماذا يتعامل الناس مع بعضهم بمبدأ المُدخِن الذي حين تنتهي سيجارته ويأخذ غرضه منها يلقيها في الأرض ويدعسها بقدمه كيف كنا سنتعامل معها إذا كانت متجددة ولا تنطفئ هل كنا سندعسها بأقدامنا ؟! ..



تبا لهذا الكوكب الذي افتقد الإنســـانية والكرامة وبنيت مبادئه على المصلحة ..

ما زال عمرو يتابعه بهدوء، لكنه هذه المرة أطال الشـرود ولم يعد بعد ، رفع سـعيد رأسـه ونظر إلى الإمام ثم اسـتدار ناحية عمرو دون أن يتكلم ينظر إليه بعيون تائهة لم يستطع عمرو قراءة ما فيها ، دقق سعيد نظره ثم سأله: " أين القهوة ؟!"

- لم أستطع إحضارها فقد ذهبتُ إلى عاصم لأنه كان غاضباً ،ولم أكن أعرف سر غضبه ..

- دعنا من القهوة الآن ،أكمل لي قصة عم حسين .

- عم حسين هو رجل يبلغ من العمر سبعين عاماً، قضى منهم أكثر من ثلاثين عاما في الغربة يجمع المال بقدر المســـتطاع، أنفق على أبنائه بسخاء وحقق لهم مستوىً عالٍ من الرفاهية تجاوز أولاده الآن الثلاثين وتزوجوا ولديهم أبناء.

كانت زوجة عم حسين تتولى أمره وتغنيه عن العالم فقد شاركته الرحلة من البداية لم يكن يبدي استيائه من تقصير أبنائه معه وكان يلتمس لهم العذر بحجة أن الحياة مشاغل وكلٌ منهم لديه عمل وأسرة تحتاج إليه ، كل ما جمعه عم حســـين من غربته من أموال وعقارات ملّكه لأبنائه بالتسـاوي ولم يبقِ لنفسـه إلاّ شـقة صـغيرة وحسـاباً بنكياً ينفق منه هو وزوجته ، بعد أن تُوفيت الزوجة طلب الابن الكبير منه المســـاعدة ببعض الأموال لأن الشركة التي أسسها قد تعرضت للخسارة فأعطاه ما يريد فما كان من الابن الثاني وكذلك البنت إلا أن طالبوه أن يعطيهم مثلما أعطى أخاهم ..



رفض عم حسين طلبهم لأنه يرى أن ابنه كان في حاجة إلى هذه الأموال أمّا الآخرون فليسوا في حاجة إليها ..

كان رد البنت قاسيا :" هو لم يكن في حاجة إلى هذا المبلغ، هو فعل ذلك ليستولي على ما تبقى لك من أموال ونحن نريد مثله"..

لم يتوقع عم حسين أن يكون هذا هو المبدأ الذي يتعامل به أبناؤه معه ازداد غضبه ورفض أن يعطيهم شيئاً قائلا :" حين أموت سترثون ما تبقى ولا أعتقد أنني سأطيل المكوث في هذه الدنيا ". كان الرد التالي من الابن الأوسط أكثر مفاجأة: " وإذا مت أنت سيرث هو معنا فيما تبقى وبذلك سيكون أخذ أكثر منا "..

كان الرد صاعقا للرجل المُسن الذي لم يصدق ما يرى ويسمع من أبنائه ، دخل في نوبه صراخ هيستيرية أصابته بجلطة أودعته العناية المركزة لعشرين يوم متتاليين..

خرج العجوز من المستشفى ليجد أبناءه بعدها بأيام يقاضونه بدعوى حجر، بحجة أنه رجلٌ مُسنٌّ ولا يستطيع التصرف في أملاكه وأنهم يريدون أن يشرفوا على نفقاته ورعايته وبالفعل كان حكم المحكمة لصالح الأبناء الذين نشبت بينهم النزاعات التي وصلت إلى حد الضرب والتهديد بالقتل ولم يعد أحدٌ منهم يهتم بشؤون الأب الذي لم يعد قادرا على رعاية نفسه ليترك المنزل الذي يعيش فيه ويخرج إلى الشارع ليقطنه ، ويلتقي به عاصم ويودعه دار الرعاية ..

توقف عمرو بعدما شاهد دموع صديقه التي انهمرت رغماً عنه، إنها مأساة بكل ما تحمل الكلمة من معنى ..



- عندما حكى لنا عم حسين قصته في البداية لم أصدقه وسألته إذا كان يُدرك كل شيء ويعرف أين منزله ويعرف أبناءه لماذا رضي أن يعيش في الشارع ولماذا لم تتواصل الدار مع أبنائه ليعيدوه إلى منزله ، وكان الرد الصــاعق أنه يعرف كيف يعود إلى المنزل ولكنه لم يفعل وعندما تواصلت الدار مع أبنائه رفضوا عودته إلى المنزل أو حتى زيارته وما زالت نزاعاتهم قائمة ..

- إن ما تحكيه يعجز اللسان عن وصفه فأية كلمات يمكنها أن تصف ما حلَّ بهؤلاء الأبناء من خِسّــــة وحقارة ، أريد أن أذهب معك غدا لزيارته ..

- سنذهب غدا أنا وعاصم بعد انتهاء وقت العمل فلتستعد إذاً للذهاب معنا ، والآن أخبرني ماذا حدث بينك وبين سعاد بعد الطلاق وهل كان لجميلة وجودٌ في الأحداث أم لا ؟

جلس سعيد علي السرير فقد نبش عمرو الجرح الذي لا يريد الحديث عنه،لكنه لا بد أن يفصح له بكل شيء فهو من وضع شروط اللعبة منذ البداية ..

اعتدل في جلسته ثم استطرد: بعد أن انفصلتُ أنا وسعاد حاولتْ هي أن تعود ولكنني كنت قد اتخذت قراراً ولن أعيد النظر فيه ، كان من الممكن أن أتراجع إذا شــعرتُ منها بأي تغيير إلى الأفضـــل أو أنها شــعرتْ بما ارتكبته من أخطاء في حقي وعندها الاســتعداد لطرح أحقادها وتكبرها جانبا وتدرك المسؤولية الملقاة علي عاتقنا وتقدر قيمة الحياة الزوجية ومســؤولياتها ، لكنها ما زالت متعلقة ببيت أبيها ولم أشعر أن لديها انتماءً لبيت الزوجية ، هي لم تدرك أنني تحملتُ كل ما



فعلته هي في فترة زواجنا لأن هذا مبدئي في الحياة أن أتحمل كل شخص على عيبه وأن أشتري خاطر كل من هو قريب مني سواء قريب أو صديق فما بالك بالزوجة والرباط المقدس الذي يجمعني بها..

لم تفهم شخصيتي وطبيعتي جيدا وأنني إذا طفح الكيل مني أبيع ولا أشتري ولا أُبقي على أحد يصر على إيذائي أو فرض سيطرته عليَّ ، انفصلنا وأعطيتها الفرصة لتعيد حساباتها وأخذت كل ما لها من حقوق كاملة دون أن تنقص شيء..

لم أكن أعلم أنها تريد اقتناص كل الفرص للحصول على أكبر قدر من المكاسب،لكنني أعطيتها ما تريد في سبيل أن يظل بيننا ذكرى طيبة وأن يحترم كل منا الآخر من أجل الطفل الذي بيننا..

حين طلقتها كنتُ أريد أن أرى ماذا ستفعل وتمنيتُ أن تُخيّب ظنوني وأن تفعل شيئاً من أجل حياتها ومستقبلها ولكن للأسف لم تفعل وقررتْ أن تستخدم يزيداً كورقة للضغط عليَّ ومنعتني من رؤيته..

كنتُ أرسل إليها ما يكفيها ويكفي يزيداً من نفقات وكانت تستلمها وتتصدى لأية محاولة مني لرؤية يزيد ، قبل أن تفعل ذلك كنتُ بدأتُ أفكر أن أعيدها وأن تعيد حسابات ما مضى وتفكر بشكل أفضل ولكن ما زال غباؤها يسيطر عليها وسطوة الأب والأم اللذيْن يعتبران الحياة فرصاً ودفعوها إلى استخدام يزيد للضغط عليَّ، إن لم يكن من أجل إعادة حياتنا الزوجية ، فليكن من أجل الانتقام والخروج من اللعبة بأكبر قدر ممكن من المال..

مـا فعلتـه من منعي من رؤيـة يزيـد جعلني أتـأكـد أنني كنـتُ محقـا في الانفصــال عنها وأنني كنت على صــواب حين قررتُ الطلاق، هي لم تفهم أن العناد معي سوف يأتي بنتيجة عكسية ..

عمرو : ألم تفكر في استعطافك باستخدام الطفل بدلا من منعه عنك ؟

سعيد : كنتُ أعتقد ذلك وربما لو فعلتْ ذلك لنجحتْ ، لكن هذه النوعية من الشخصيات كبرها وعنادها يقودها دائما إلى التصرفات الخاطئة ..

- لماذا لم تقاضها لتحصل علي حكم قضائي برؤية يزيد ؟

- فكرتُ في ذلك ولكني تراجعتُ عن الفكرة حرصــا علي الطفل ، لا أريد أن يكبر ويعرف أن بيني وبين والدته قضايا وخلافات كنتُ أريده أن يكبر في جو هاديء بيني وبينها ..

- إذا كنتَ تفكرُ في مصلحته لماذا طلقتها ؟

- فكرتُ في هذا الأمر كثيرا ولكني وجدت أن طلاقنا في مصلحته أكثر من دوام علاقتنا الزوجية ..

- كيف ؟؟!!

- بعد تفكير طويل دام شهور رأيتُ أن انفاصلنا في مصلحة يزيد ، أن يعيش بيننا ونحن منفصــلَيْن أفضــل من أن ينشــأ بين أب وأم غير متفاهميْن والشجار بينهم دائم ومع الوقت سينعدم الاحترام بيننا لا أُعفي نفســي من الخطأ ولكنني قدمتُ الكثير من التنازلات من أجل الإبقاء علي الحياة هادئة ومسـتقرة ولكن الطرف الآخر لم يقدم أية تنازلات ،



فهي تريد أن تكون القائد وأن تكون كل طلباتها مجابة حتي وإن كانت خيالية ولا أستطيع تحقيقها ..

عمرو : ألم يكن هناك أية نقطة التقاء بينكم ؟

سـعيد : للأسـف لم أجد أية فرصـة وكلما أقنعت نفسـي بحل كانت هي تفسـده بتصـرفاتها الحمقاء وغير المحسـوبة ، فبعدُ أن قررتْ اللعب بيزيد ولم تنجح قررتْ أن تلعب اللعبة التي جعلتني أصرف النظر عنها إلى الأبد ..

تفاجأت بإنذار من المحكمة لحضـور جلسـة تقاضـي رفعتها هي طالبة النفقة ، رغم أنني لم أتـأخر في إعطـائها نفقاتها ونفقات يزيد في أي شـهر ،فقد أنكرتْ أنني دفعتُ لها أي شـيء ورفعتْ دعوى لطلب النفقة بعد سـنة لكي تجمع أكبر مبلغ ممكن من المال ومرت سـنتان على هذه الحال ما زالت القضـايا بيننا قائمة وبلغ يزيد عامه الثالث ولم أره منذ انفصالنا إلا مرة واحدة رغم أن المحكمة حكمت في قضية الرؤية التي رفعتها ولكنها لم تُنفذ الحكم ..

- كيف يصدر حكم محكمة ولا ينفذ ؟

- اسأل القانون عن ذلك ، وإذا حصلت على إجابة أخبرني بها ..

انتفض سعيد من السرير واتجه نحو النافذة مرة أخرى أحسَّ عمرو أن صديقه قد أصـابه ضيق من سؤاله ، حاول أن يغيِّر مجرى الحديث: " ماذا عن جميلة ؟ هل اختفت ؟! "

لم ينتبه سعيد إلى سؤال صديقه وراح في شرود عميق ..



ظل سعيد غارقا في شروده يفكر فيما مضى ، لكن تفكيره مشوش إلى درجة جعلته لا يعرف فيما يفكر ومِنْ أين يبدأ تفكيرة وأين ينتهي ، الذكريات اختلطت ببعضها حبه لجميلة تداخل مع ما تركته به من ألم ، ثم عن عمله الخاص الذي تركه لعبد العزيز كي يديره بمعرفته ، تذكر أنه لم يرَ عبد العزيز منذ أيام رغم أن عبد العزيز حاول الاتصال به أكثر من مرة في الأيام الماضية، ما زالت الأفكار في رأسه غير مرتبة ومتداخلة يفكر في يزيد كيف سيكون مستقبله وماذا تقول له سعاد عن أبيه ، هل يتزوج مرة أخرى أم يكفي ما جرى وما لحق به من ألم جرَّاء زواجه وطيبته الزائدة التي جعلته غير قادرعلي التكيف مع المجتمع ،وأن يعتزل البشر ، بل ووصل الأمر به إلى أن يبحث لنفسه عن مكان في مستشفى الأمراض العقلية ، يسأل نفسه ماذا أتى بك إلى هنا ؟! ولماذا عنبر 33 ، لماذا دائما الرقم 33 دائما عالق في ذهنك ، هل هي صدفة أم أن لها مدلولاً ما؟! ، لماذا اختار عمرو نفس العنبر ليجلس به ، كيف تجمعت الصدف إلى هذا الحد ؟؟!!، عمرو أيضا لا يعرف لماذا اختار هذا العنبر ليجلس فيه ولماذا يجد راحته هنا ؟! هل مثلما يعتقد هو أن فتاة أحلامه سوف تأتي يوما ما، أم أنه واهم مثلي ، يجري وراء سراب ، ماذا سأفعل في الأيام القادمة ؟! هل سأستمر في اعتزالي للبشر أم لا بد أن يكون هناك مواجهة ؟!! ، سأباشر أعمالي بنفسي منذ الغد وسأعاود الاتصال بعبد العزيز لأعود إلى العمل وأخفف عنه الحمل الذي ألقيت به على عاتقه وتركته وحده ، بماذا سينفعني الجلوس هنا في عنبرٍ خالٍ داخل مستشفى ، ربما دفعني القدر إلى هنا لألتقي بعمرو وأحصلَ على صديق رائع مثله ، لا بد أن يتوقف عمرو عن هذه العادة وأن يتقبل المجتمع بعيوبه ويحاول إصلاحها إن استطاع ،سيكون هذا محور حديثي مع عمرو اليوم ...



أدرك سعيد اخيرا أنه أطال الشرود هذه المرة وانتبه إلى صوت عمرو الذي يتكلم معه وهو غير منتبه إلى حديثه :،

"ماذا تريد يا عمرو ؟" ، قالها سعيد وهو ما زال ينظرإلى الحديقة .

- أخيرا انتبهتَ أنني أحدثك ، بماذا تفكر يا صديقي ؟!!

- لا أعرف فيما كنتُ أفكر ، فالذكريات اختلطت مع الواقع مع الأحلام مع الخيال ، هذه الضوضاء من الأفكار جعلتني لا أعرف بماذا أفكر ، هناك أصـــوات كثيرة متداخله داخل عقلي وأنا غير قادر على ترتيب أفكاري أو حتي تحديد أهدافي في المرحلة القادمة ،أريد أن أعود إلى الصفر وأحيا مجرداً من كل ذكرى أو ألم أوحلم أو حتى هدف ، كيف يمكنني أن أعود (مجرداً)، هل أتزوج مرة أخرى ، أم يكفي ما حدث مع سعاد ؟! أم تُراني أبحث عن حب جديد أم أن جرح جميلة لن أُشفى منه ، هل أعيد سعاد ؟! ،وكيف ستكون علاقتي بيزيد وكيف سأراه ؟!، كل هذه أفكار تداخلتْ مع بعضـها جعلتني أشـعر بالضـيق والحنق بل والعمى ، وذلك ما جعلني أترك العالم وأتسلق سور مستشفاكم لأدخل إلى عنبر33 ..

- هل يمكنك الآن أن تجيب ، لماذا اخترت عنبر33 ؟؟!!

- حاولتُ أن أعرف لماذا بحثتُ عن عنبر يحمل هذا الرقم ولم أصـــل إلى نتيجة ، فهذا الرقم عالق في ذهني منذ ســـنوات طويلة حتى أنني كنتُ إذا اشـتريتُ شـريحة للهاتف كنتُ أبحث عن شـريحة يكون ضـمن أرقامها 33 ، وإذ أنشـــأت بريداً إلكترونيا كنتُ أضـــع في آخره 33 ، واليوم حين قررت المجيء إلى عنبر 33 وجدتك هنا ولا أعرف لماذا اخترنا نحن الاثنان هذا العنبر ..



- ربما تكون صدفة ..

- وربما تكون رســالة ، أخبرتَني أن عمرك اثنان وثلاثون عاما أليس كذلك ؟

- فعلا أنا في عامي الثاني والثلاثين وغدا هو عيد ميلادي وسـأبدأ في العام الثالث والثلاثين ..

- ربما تكون هذه هي الرسالة ، أعتقد أن عامك الثالث والثلاثين سوف يكون به أحداث كثيرة ، فقبل أن تبدأها جاء إليك صـــديق يبحث عن نفس الرقم ، حكيت معه وأزحتَ هموما كثيرة كانت تثقل قلبك ، ربما كانت زيارتي لك لتريحك من آلام الماضــي لتبدأ الحياة معك صــفحة جديدة منذ الغد..

- أتمنى أن يكون توقعك في محله ، ولكن أخبرني عن جميلة؟!

- ما زلتَ مُصرّاً أن تعرف ماذا حدث مع جميلة ..

بعد زواجي من سـعاد كانت جميلة قد قضــتْ عامها الأول من الزواج وأنجبت بنتاً أسمتها هدى ، اتصلت بي جميلة بعد الإنجاب وهذه المرة لم يؤثر اتصالها عليّ سلبيا ، فقد أصبحتْ صفحة ممزقة من الماضي ، أخبرتني أنها أنجبت هدى وأنا أيضــا أخبرتها أنني في انتظار أول مولود ، بدأتْ جميلة تُعاود الاتصــال بي بشــكل يومي وتحكي عن ما تقاسيه من آلام في حياتها مع زوجها ، إلى أن لاحظتُ أنها ليست في منزل الزوجية وأنها تقيم في منزل أبيها ، كنتُ أحاول أن أمنع نفســي من الحديث معها ولكنني أشفقت عليها وشعرتُ أنها تبحث عن شخص تثق به لتتحدث معه ووقع اختيارها عليّ ، كنتُ أستمع إليها وأحاول أن أســاعدها في حل مشــكلاتها ، بدأتْ جميلة تتحول من الحديث عن



مشـــاكلها مع زوجها وحياتها الزوجية التي أوشـــكت على الانتهاء بالحديث عن الذكريات الســـابقة بيننا ،تجاوبتُ معها في البداية ولكني أدركت أن ما يحدث خطأ ، توقفتُ فورا عن الحديث معها وطالبتها بعدم الاتصـــال بي مرة أخرى ، بعد آخر مكالمة بأســبوع علمتُ أن جميلة انفصلت عن زوجها ..

- لماذا توقفتَ ؟!

لم يجب ســعيد على سـؤال عمرو ودقق النظر إلى بوابة المســتشـفى ، هناك شـخص يطلب الإذن من الحارس بالدخول ، نادى على عمرو :" تعال هنا ، هل تعرف هذا الشـــخص " .. دقق عمر نظره " إنه وليد ، ماذا أتى به إلى هنا "...

دخل وليد مســرعا من بوابة المســتشــفى ليلتقي بعطية عند باب المبني ، ســـأله عن مكان عمرو ، ليصـــحبه عطية نحو عنبر 33 ، اقترب الاثنـان من بـاب العنبر طلـب عطيـة من وليـد الانتظـار حتى يطرق هو الباب ليستمع وليد إلى إهانة عمرو له ..

أصـابع عطية الغليظة والتي يميزها عمرو جيدا ويعرف صـوت نقرها تطرق البـاب بقوة مع صـــوت عطيـة منـاديا: " دكتور عمرو ، هنـا شــخص يبحث عنك اســمه وليد ويقول إنه صــديقك " ، رد عمرو من خلف الباب :"انصـرف أنت وأنا ســأفتح الباب لوليد " ، تراجع عطية إلى الخلف مُحدثا وليد: " لقد رأيتَ بنفسك كيف يعاملني ، هل ترضيك هذه المعاملة من صديقك ؟!!" ..

حاول وليد أن يُطيّب خاطر عطية : لا تغضب من عمرو ، أنت تعرف إنه شخص طيب ، اتركني معه قليلا وبعدها سأناديك وأجعله يعتذر لك على هذه المعاملة ، ابتعد عطية عن باب العنبر ، اتجه عمرو نحو الباب ليفتحه بعدما تأكد أن عطية قد غادر المكان ، دخل وليد من الباب مسرعا وقد طغت علامات الغضب علي وجهه :"لماذا تتعامل مع الرجل بهذه الطريقة ؟!!..

- لا تهتم بطريقتي مع الآخرين يكفيك اهتمامك بطريقتي معك ، لماذا أتيت إلى هنا ؟!

- منذ تركتني في الصباح وأنا أبحث عنك ، لم أستطع الوصول إليك فقررتُ البحث عنك هنا ، لماذا أنت هنا بعد انتهاء عملك ؟!

لم يجب عمرو على سؤال وليد :"لقد حضرتَ في وقت مناسب هذه المرة ، لحسن حظك هنا صديق أريد أن أعرفك به ، سعيد صديقي الجديد ،أشار بيده نحو النافذة حيث يقف سعيد .

لاحظ عمرو عدم اهتمام وليد بوجود سعيد وقد اكتفى أن يلوح بيده نحو النافذة ،سعيد أيضا اكتفى برفع يده تحية لوليد ثم اتجه نحو السرير ليسترخي ويترك المجال لعمرو ووليد كي يتحدثا بأريحية وكأنه غير موجود ..

وليد : لماذا تجلس هنا وماذا تفعل في هذا العنبر الخالي من النزلاء ؟!!

عمرو : اعتدت الجلوس هنا بمفردي منذ فترة طويلة ، إلى أن تعرفتُ علي سعيد وبدأ يتردد علي المكان ويشاركني الجلوس هنا ..



- مَنْ سعيد هذا ؟!

أشار عمرو نحو السرير : هذا سعيد الممدد أمامك على السرير.

- هيا نعود إلى شقتك فأنا أريد الحديث معك علي انفراد ..

- يمكنك أن تجلس معنا هنا فقد أخبرت ســـعيداً عنك وكان متشـــوقاً لرؤيتك ..

- سعيد مَنْ ؟!

أشــار عمرو ناحية ســعيد : هذا ســعيد يا وليد ، كيف لا تراه ، الرجل ينظر إليك ويبتسم وينتظر أن تبادره بالحديث ..

- عمرو ، هل تتعمد المزاح معي ؟!!

- أي مزاح ؟!! ، وأنا أعرّفك بالرجل وأنتَ غير مهتم ..

- لا يوجد أحد بالعنبر غيرنا ..

أعطى عمرو ظهره لوليد واستدار باتجاه سعيد ، حدِّثه أنت يا سعيد ..

دقق عمرو النظر إلى سعيد الذي ينظر إليه مبتسما دون أن يتكلم ، وقد جمع كفيه متشابكيْن خلف رأسه ووضع ساقيه فوق بعض ممددتان ولم يبدِ أي اهتمام لكلام عمرو ..

- سعيد ، أنا أحدثك ، لماذا لا تجيبني ؟!! ، ما زال سعيد على وضعيته ينظر إلى وليد وعمرو مبتسما دون أن ينطق بكلمة..

وليد : لا يوجد بالعنبر غيرنا ، مع من تتحدث ؟!!



عمرو : عد إلى حيث أتيت يا وليد ..

- لن أعود إلا وأنت معي وتخبرني مَنْ سعيد الذي تتحدث عنه؟!

لم ينتبه عمرو إلى كلام وليد هذه المرة واتجه نحو باب العنبر بعدما رأى أقدام عطية أسفل الباب ليفتح الباب مسرعا ويفاجأ عطية: " لماذا تقف هنا ؟؟"

عطية : لا شيء كنتُ أتمشى في الطرقة ..

عمرو : عُد إلى عملك وإياك أن أراك تمر من أمام العنبر مرة أخرى ..

ابتعدَ عطية ، أسرع وليد نحو الباب مناديا علي عطية ، حاول عمرو أن يدفع وليد إلى الداخل وأغلق الباب ، فتح وليد الباب وأصرَّ علي دخول عطيه متجاهلا غضب عمرو من تصرفه ، دخل عطية ووقف صامتا ..

وليد : أكمل حديثك ولا تهتم بوجود عطية ..

عمرو : لن أتكلم حتى يخرج هذا الوغد من هنا ..

عطية موجها حديثه إلى وليد : يعاملني هكذا دائما ..

وليد : لا تغضب لعل لديه أسباباً مقنعة لكي يعاملك بهذه الطريقة ..

عمرو بغضب : هل ستعلّماني كيف أتعامل مع الناس ؟!، ثم إنك من تدفعني إلى هذه الطريقة بسبب فضولك الدائم وتدخلك فيما لا يعنيك ..



عطيـة : لم أتـدخـل فيمـا لا يعنيني ، ولم تكن هذه طريقتك منذ البداية ، لقد كنتَ ودودا معي وكنتَ تمازحني دائما ولم تغضب يوما من مزاحي معك ولا من أي تصرف يصدر مني ، لكنك قد تغيرتَ مع كل زملائك ليس أنا فقط ،وإنما أصبحتَ تتعامل معي بطبقية وعنصرية لم أعهدها منك ، لذلك كنتُ أتتبعك وأتودد إليك لأعرف ســـبب هذا التحول ، تصرفاتك في الأيام الأخيرة جعلتني أزداد قلقا عليك ..

عمرو : أية تصـــرفات تتحدث عنها ؟!!، متي كنتُ أمازحك ، أنت شخص فضولي وسخيف وأنا لم أمازحك يوما ما ...

نظر عطية إلى وليد بعيون دامعة : اسأل كل العاملين بالمستشفى كيف تغير دكتور عمرو معهم وكيف أصبح يعاملهم بجفاف وغلظة وتكبر ، الجميع كانوا يحبونه ولكنه لم يعد كما عهدناه ..

وليد : لماذا تراقبه باستمرار ؟!!

عطية : أنا أول من لاحظ التغيير عليه لأنني كنتُ أقربهم إليه ، بعد أن بدأ يجلس بمفرده شـــعرت بالقلق ، لم يكن هناك أي تصـــرف غريب ســوى في الأيام القليلة الماضــية ، رغم أنه يجلس بمفرده ،بمعدل كل ساعة يطلب فنجانيْن من القهوة وعلبة سجائر ، استغربتُ الأمر وبدأتُ أتلصص عليه من خلف الباب ، وجدته يتحدث مع شخص غير موجود ، ازداد قلقي وخوفي عليه لذلك اتصــلتُ عليك وطلبتُ منك الحضــور اليوم ، فقط لأنني أحبه ....

عمرو : هل جننت ، سعيد دائما يجلس معي وأحدثه ألا ترى سعيداً ؟! ..



أدار عمرو وجهه نحو السرير ليجد سعيداً على نفس وضعه ولا يحرك ساكنا ، نادى عليه :"سعيد ، أخبرهم أنني كنتُ أطلب القهوة من أجلك ، أخبر عطية كيف كان لقاؤنا أول مرة ، لأنه لم يحضر مشاجرتك مع عمال المستشفى "،

وليد : لا يوجد بالعنبر غيرنا أنا وعطية وأنت !!

عمرو : سعيد هنا ، لكنه لا يريد أن يتحدث أمامكم

عطية : لم يأتِ أحد إلى هنا ولم تحدث أية مشاجرات ..

انهال عمرو علي عطيه بالسباب :" اخرج من هنا ولا شأن لك بما يحدث " أمسك بعطية من معطفه وجرَّه خلفه ، دفعه نحو الباب: " هيا اغرب عن وجهي لا أريد أن أراك "..

حاول وليد منع عمرو لكنه دفعه بقوة: " وأنت أيضا لا أريد أن أراك ، لا أريد أحدا هنا غير سعيد " ..

دفعهم خارج العنبر واتجه نحو السرير ليطمئن على صديقه الذي فقد الوعي تقريبا ...

في الخارج قرر عطية الاستعانه بدكتور عاصم وأحد العاملين ليقتحموا العنبر على عمرو ..

ما زال وليد يطرق الباب ويتوسل إلى عمرو كي يفتح له الباب ، ردَّ عليه عمرو بصراخ: " خذ مَنْ أتوا معك واذهبوا من هنا لا أريد أن أرى أحدا منكم "...



دفع عطيه الباب بكتفه بمساعدة عاصم ووليد واتجه مسرعا هو ورفيقه نجو عمرو ليمسكا به ...

صرخ عمرو :" ماذا تريدون ؟!!" ، أمسك عطية ورفيقه بكتفيّْ عمرو ، ازداد صراخ عمرو: " ماذا تريدون مني ابتعدوا عني" ، ينادي علي سعيد: " لماذا أنت صامتٌ هكذا لما لا تساعدني ، خلصني من هؤلاء الأوغاد ".....

وليد : اهدأ يا صديقي ، لا يوجد هنا شخص يدعى سعيد .

- لاااااا ،سعيد راقد أمامك علي السرير انظر لتراه ..

- عمرو ، لا بد أنك تعاني من شيء ما ويجب أن تستوعب الأمر ، أنت طبيب ولكنك تحتاج إلى المساعدة ، ونحن هنا من أجلك لأننا نحبك ..

- لا أريد أن يحبني أحد ، لا أريد العيش بينكم ، وسط النفاق والكذب ، الآن تجتمعون لتتعاملون معي علي أني مجنون .. لاحظ عمرو أن دكتور عاصم يمسك بيده حقنة مهدئة أعدها من أجله ..

- اتركوني أنا لست مجنوناً أنا أعقل شخص في هذا العالم البائس ، أنتم المجانين ، من يرضى الحياة بينكم هو المختل حقا ، تتهموني بالجنون لأنني أريد العيش بعيدا عنكم ؟!، بعيدا عن نفاقكم وكذبكم وسخافتكم وتفاهاتكم وإرهابكم ،اتركوني أحيا بعيدا عنكم ليس لي حاجة بما تسرقون من بعضكم ، ليس لي مثل أطماعكم ، البشر هم أسوأ مَنْ سكن هذا الكوكب الموبوء ، تنعتوني بالجنون ؟!! ، تريدونني مثلكم ؟! ، تريدونني أحمقاً مختلاً ...

اسألوا الموت ، لماذا حرمني من أبي ؟! لماذا فقدتُ أمل ؟!!



اســـألوا نور لماذا فقدتْ أمها ، ســـتقولون لا حيلة لنا مع الموت وأنها أقدار ؟!! ، اســـألوا جميلة ، لماذا تخلتْ عني ؟! اســـألوا زوجتي لماذا ظلمتني ؟! ، اســـألوا روحاً لماذا دخل الجن إلى حياتها ليفســـدها ؟! ، اســـألوا نوراً أين كان أبوها وهي تقاســـي الأمرّيْن من زوجها وأختها وزوج أختها ، بل وهي تعاني طوال حياتها ، وأنتَ يا عاصـــم ألم ترَ كيف كان مصير عم حسين ؟! لماذا نحن البشر بهذه الخسة والحقارة ؟!! ، وأنت يا وليد متى ســـتتخلى عن هذيانك وأفكارك المبتدعة ؟!! ، اســألوا خالداً متى ســيتخلى عن لحيته المزيفة وتقواه المزعومة ، متي ســيتوقف عن حث الناس على أمور هو أبعدهم عنها ؟! ، لماذا لا يأتي الحب كما نريد ؟! اسـألوا يزيداً هل يعرفني ؟؟، اسـألوا القانون لماذا لا أرى ابني الوحيد ؟! ، اسألوا المال لماذا لم يحقق لي السعادة ؟!!

حاسبوا القانون ، بل حاسبوا أنفسكم ...

لماذا قتلتم كلَ شـــيء جميل كان يحيا بداخلي ؟!! لماذا قتلتم البراءة ؟؟!!...

توقف الجميع عن الكلام تكاد تنخرس ألســـنتهم ، زاغت أعين عمرو عنهم ناظرا إلى الســرير ، ليجد ســعيداً قد أغلق عينيه وراح في ثبات عميق .. دمعتْ عينا عمرو وجثى على ركبتيه ....." لماذا قتلتم سـعيداً ؟!!"....

هناك شـخص يجري في الطرقة صـوت دبيب أقدامه يهز المبنى ، مرّ الرجل وهو يتفحص الأبواب ناداه وليد: " عبد العزيز ، نحن هنا "..

دخل عبد العزيز من الباب يلهث ويلتقط أنفاسه بصعوبة ..

صاح وليد :" لماذا تأخرت ؟!!"



اســتند عبد العزيز إلى ركبتيه وهو ينظر إلى عمرو باســتغراب وهو جاثٍ على ركبتيه ويسنده عطيه وزميله ، ودكتور عاصم الذي يمسك بيده حقنة: " ماذا يحدث ؟!!"

أعاد وليد صياحه :"لماذا تأخرت ؟"

رد عبد العزيز :" آسـف يا صــديقي كنتُ بالمســتشــفى لأطمئن على إسراء فقد وضعتْ طفلنا الأول منذ ساعة " ، اتجه نحو عمرو وأمسك برأســه وجذبه إلى أعلي واحتضــنه بقوة هامســا: " عمرو الصــغير قد حضر إلى عالمنا وهو متشوق لزيارة عمرو الكبير .....



تمت ...

بفضل الله ومنّه وكرمه

(سيد السواح)



`

إسمح لي أن أطرق تلك الأبواب المغلقة منذ سنين ..

دعني أنقر ذلك الصندوق الذي خبأته في حنايا روحك

منذ عقود .. أتركني احلق في فضاء روحك، وأحط

رحالي علي تلك القطعة المحتلة من قلبك لأعيدها إليك ..

لن نحتاج في رحلتنا سوى أنت . فقط اتبعني نحو ذلك

العنبر الخالي هناك . .فيا من انهكته الحياة ولم تتوقف

الدنيا عن توجيه لكماتها إليه ، ويا من توسد الدمع ليلا

وارتدي ابتسامته صباحاً. .

مرحبا بك في عنبر ٣٣

تصميم غلاف : كريم وهيب

